الأدعية المأثورة
وعلاقتها بحفظ مقاصد الشريعة
(مقصد حفظ النفس أنموذجاً)

إعـــداد

د . عبدالقادر بن ياسين الخطيب

عضو هيئة التدريس بجامعة الأمير سلطان

المقدمة :

الحمد لله الذي شرع العبادة ويسرها، وضاعف عليها الأجور وكمّلها، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، فما من خير إلا دل الأمة عليه، وما من شر إلا حذرها منه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق المصالح في الدنيا والآخرة؛ ذلك أن « مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، فهي خير كلها، وعدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها »[١]، وإن تحصيل هذه المصالح هي المقاصد الشرعية التي وُضعت الشريعة للمحافظة عليها، إلا أن العباد متحاجون إلى الله تعالى في تحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم. يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم)[٢]، فإن « هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فإنه يحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أَوْبَقَتْه خطاياه في الآخرة) »[٣]، والله يحب من عباده أن يسألوه ويتضرعوا إليه وحده في طلب ما يحتاجون إليه، ويلتجؤون إليه ويطّرحون بين يديه في كشف ما يضرهم ودفع ما يحذرون منه؛

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم ٣/١٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤ رقم ٢٥٧٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ٢/٣٧ .

والشريعة تعدّ ذلك من العبادة، بل الدعاء هو العبادة[١]. وتحقيق العبادة هو مقصد المقاصد، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والمشروع للمسلم أن يدعو الله بما شرع، بحيث يكون قصده في الدعاء موافقاً لقصد الشارع؛ «ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية»[٢]، كما ينبغي له الاهتمام بالأدعية المأثورة: فقد ذكر الله في القرآن الكريم نماذجَ من أدعية الأنبياء وعباده المؤمنين الصالحين: ليعلّم العباد النهجَ السديد والمسلك القويم في دعاء الله ومناجاته والثناء عليه بما يليق بجلاله[٣]. وكان النبي ﷺ يعلم أهل بيته وأصحابه الأدعية كما يعلمهم السورة من القرآن. وأُثرت عنه ﷺ أدعية كثيرة في مناسبات مختلفة فيها من المعاني الجامعة والمقاصد الوافية المتضمنة طلب المصالح العاجلة والآجلة، ما يستدعي المزيد من الاهتمام بمعرفتها والتأمل في معانيها ودلالاتها: ليكون ذلك أكمل في دعاء الله سبحانه ومناجاته وعبادته. فإن أفضل الذكر والدعاء وأنفعه ما كان من الأذكار والأدعية المأثورة، «وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»[٤].

ومع أن العلماء يصرحون بأن « تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق »[٥] إلا أنهم يقصرون الكلام على الأوامر والنواهي، ولا يتعرضون للأدعية، مع

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن ٥/٢١١، رقم ٢٩٦٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢٢/٥١٠.

(٣) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، للبدر ٢/٣٣٥.

(٤) الفوائد، لابن القيم ١/ ١٩٢.

(٥) الموافقات، للشاطبي ٢/٧.

أن لها علاقة واضحة بحفظ مقاصد الشريعة. ولهذا حاولت أن أجمع عدداً كبيراً من الأدعية المأثورة، الواردة في مصدري التشريع (القرآن الكريم والسنة النبوية) الذين تُعرف بهما مقاصد الشريعة، وأسلط الضوء على معانيها التي تبين علاقتها بحفظ مقاصد الشريعة عموماً، مع التركيز على ذكر الأمثلة التي تبين علاقتها بحفظ مقصد النفس، في هذا البحث الموسوم: "الأدعية المأثورة وعلاقتها بحفظ مقاصد الشريعة - مقصد حفظ النفس أنموذجاً".

وتتبع أهمية هذا الموضوع من أمو أهمها:

١- أن هذا البحث يوضح العـ الوطيدة بين أوامر الشرع وتوجيهاته، وبين تحقيق مصالح الخلق في الـ ـآجل، ومن ذلك أمره سبحانه وتعالى بالدعاء، وعلاقته الوثيقة بتحقيق هذه المصالح.

٢- أن بيان العلاقة بين أوامر الشرع وبين تحقيق المصالح مما تكلم عنه علماؤنا السابقون، إلا أن هذا البحث ينفرد بتسليط الضوء على نوع معين من هذه الأوامر، وهو الأدعية المأثورة، ويوضح علاقتها بحفظ مصالح العباد التي هي مقاصد الشريعة.

٣- أن تسليط الضوء على العلاقة بين الأدعية المأثورة وحفظ مقاصد الشريعة، مما يؤكد أهمية الأدعية - بشكل عام - في حياة المسلم، وأهمية الأدعية المأثورة بشكل خاص، وتجعل العباد أكثر إقبالاً على الدعاء عموماً، وعلى الأدعية المأثورة بخاصة. وفي ذلك تربية لهم على التعلق بالله في الشدة والرخاء، اقتداء بالأنبياء عليهم السلام ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وتشتد حاجة

المسلمين إلى الدعاء في هذا العصر الذي كثرت فيه الأزمات.

٤- أن فيه بيان افتقار العباد إلى الله في إصلاح شؤون حياتهم كلها، في حفظ دينهم وأنفسهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم وعقولهم، ولهذا ينبغي لهم أن يتضرعوا إليه، ويتذللوا بين يديه، ويطرحوا ببابه، ويطلبوا منه ما يصلحهم، وفق ما قصده الشارع الحكيم من هذه العبادة. وبهذا يكون الدعاء من أجلّ العبادات، وحادياً للعباد إلى تحقيق العبودية لله وحده في أحوالهم كلها.

٥- إثراء علم مقاصد الشريعة بمزيد من الأمثلة الواقعية، مما يسهل معرفتها. وإذا عرف المكلف مقاصد الشريعة، أمكنه موافقة قصد الشارع؛ لأن المسلم يجب عليه أن يكون قصده موافقاً لقصد الشارع.

٦- أن فيه تشجيعاً لطلاب العلم على البحث عن مقاصد الشريعة في أوامر الله تعالى ونواهيه، وبيان مصالح الطاعات والمعاملات، وسائر التصرفات: ليسعى الناس في تحصيلها، وبيان مفاسد المخالفات: ليسعى العباد في اجتنابها درءا لهذه المفاسد؛ «وقد أبان الله في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح»[1]، وأيضاً لتكون معرفة المكلفين بمقاصد الشرع دافعاً لهم لتكون تصرفاتهم موافقة لما يقصده الشارع من تشريع الأحكام.

٧- إيضاح هذا الربط بين تكاليف الشريعة وبين تحقيقها لمصالح العباد، فيه

---

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبدالسلام ١/٩.

إبـراز لمكانـة الـشريعة، ودعـوة إلى العمـل بهـا وتطبيـق أحكامهـا ؛ لأن الطبيعـة البـشرية تحـب مـا ينفعهـا، وتميـل إلى مـا يحميهـا مـن الأضـرار المحيطة بها.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج العلمي في كتابة أمثاله من البحوث العلمية، وذلك من خلال الخطة التالية :

المقدمـــــة : وبينت فيها أه ية الموضوع، وخطته.

التمهيـــــد : وفيه معنى الأ ة المأثورة، وأهميتها.

المبحث الأول : الأدعية المأثورة (قتها بحفظ مقاصد الشريعة.

المبحث الثاني : الأدعية المأثورة و لاقتها بمقصد حفظ النفس.

وأسأله سبحانه الـ فيق والسداد .

التمهيد

وفيه معنى الأدعية المأثورة، وأهميتها

المطلب الأول

معنى الأدعية المأثورة

أبدأ أولاً ببيان معنى "الأدعية" وأثني ببيان معنى "المأثورة" ، وذلك فيما يلي :

أولاً : معنى "الأدعية" في اللغة وفي الشرع :

معنى الأدعية في اللغة : الأدعية جمع دعاء، ومادة " د ع و " تدل على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[(١)]، وللدعاء في اللغة معان كثيرة، منها : العبادة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس ١٠٦] ، والاستغاثة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] أي : استغيثوا بشهدائكم[(٢)] ، وطلب حضور المدعو، كما فسّر بعضهم المقطع السابق من الآية[(٣)] ، والسؤال والطلب، كقولهم : دعوت الله أدعوه دعاء، أي : سألته ورغبت فيما عنده من الخير[(٤)]، وهذا المعنى هو المراد في هذا البحث .

---

(١) ينظر مادة "دع و" في: مقاييس اللغة، لابن فارس ٢/٢٧٩ .

(٢) ينظر : زاد المسير، لابن الجوزي ١/٥٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور ١/ ١٩٨ .

(٤) ينظر : لسان العرب، لابن منظور ١٤/٢٥٧ ، فتح الباري، لابن حجر ١١/٩٤ ، المصباح المنير، للفيومي ١٩٤.

ومعنى "الأدعية" في الشرع :

ذكر العلماء للأدعية عدة معان[١] ، منها :

هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له[٢].

أو هو استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده منه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة[٣].

أو هو : التضرع إلى الله والافتقار إليه بطلب تحقيق المطلوب أو دفع المكروه بصيغ السؤال والخبر[٤].

وهي معان متقاربة، وإن كان المعنى الأخير أوضح .

وقوله: " بصيغ السؤال والخبر" لأن الدعاء تارة يكون بصيغة الطلب والسؤال، وتارة يكون بصيغة الخبر[٥] .

ثانياً : معنى "المأثورة" في اللغة وفي الشرع :

معنى "المأثورة" في اللغة : المأثورة من الأَثر، وهو بقية الشيء، وخرَجْت في إِثْره وفي أَثَره، أَي: بَعْده، وأَثَرْتُه وتَأَثَّرْته: تتبَّعْت أَثَرَه، والأَثَر بالتحريك: ما بقي من رَسْم الشيء، ومنه يقال لسنن النبي ﷺ : آثاره، ومن هذا قيل: حديث مأْثور. أَي: يُخْبِر الناسُ به

---

(١) ينظر في معنى الدعاء : بدائع الفوائد، لابن القيم ٥١٢/٣، الدعاء، عبدالله الخضري ٢١، كنز الدعاء وأسراره، محمود الغرباوي ١٤.

(٢) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ٩٥/١١.

(٣) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٢٢٨/١.

(٤) ينظر : الدعاء وأحكامه الفقهية، للمهيزع ٣٨، ٥٤.

(٥) ينظر : المرجع نفسه، تصحيح الدعاء، د. بكر أبو زيد ١٨،١٧.

بعضُهم بعضاً، ودعاء مأثور، أي: ينقله خلف عن سلف[١] .

ومعنى "المأثورة" في الشرع :

معنى المأثورة في الشرع قريب من معناها في اللغة. حيث يعرف العلماء الأدعية المأثورة، بأنها ما ينقله الخلف عن السلف[٢] ، فتشمل ما ورد من الأدعية مرفوعاً أو موقوفاً على الصحابة والتابعين، وما ورد عن الأئمة المشهورين، أما ما عدا ذلك مما يدعو به الناس فليس بمأثور[٣].

فيكون المراد بالأدعية المأثورة في هذا البحث : الأدعية الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية التي يحتج بها .

وإنما حصرتها في القرآن الكريم والسنة النبوية التي يحتج بها؛ لأنهما مصدرا التشريع، و((مقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع))[٤] وأنا أتحدث عن علاقة هذه الأدعية بحفظ مقاصد الشريعة.

وللذكر علاقة وثيقة بالدعاء ، فيحسن بيان معنى الذكر، وتوضيح العلاقة بينه وبين الدعاء.

معنى "الذكر" في اللغة :

الذِّكْرُ مصدر ذَكَرَ الشيءَ يذكرُه ذِكْراً وذُكْراً، وله معان عدة، منها : حفظ الشيء واستحضاره في القلب، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) ينظر مادة "أثر" : لسان العرب، لابن منظور ٥/٤ ، تاج العروس، للزبيدي ٢٤٤١/١ ، مختار الصحاح، للرازي ٥ .

(٢) ينظر : التعريفات للجرجاني ٢٩/١ ، وينظر : التوقيف في مهمات التعاريف، للمناوي ٣٣/١ .

(٣) ينظر : الدعاء وأحكامه الفقهية، للمهيزع ٧٩.

(٤) المستصفى، للغزالي ٣١٠/١.

أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]. ومنها: الشيء يجري على اللسان. يقال: ذَكَرْتُ الشيءَ أَذْكُرُه ذِكراً وذُكْراً، أي: نطقت به أو تحدثت عنه[١]. ولكلا المعنيين علاقة واضحة بالمعنى الاصطلاحي.

معنى "الذكر" في الشرع:

ذكر العلماء للذكر معاني متقاربة، منها:

الذكر: هو تمجيدُ اللّه تعالى وتقديسُه وتسبيحُه وتهليلُه والثَّناءُ عليه بجميع مَحامِدِه[٢].

وقيل: هو كل ما يقرب العبد إلى الله من عقيدة، أو فكر، أو عمل قلبي، أو عمل بدني، أو ثناء على الله، أو تعلم علم نافع وتعليمه، ونحو ذلك[٣].

وبالنظر في معنى الدعاء ومعنى الذكر تتضح العلاقة بينهما، حيث إن الدعاء ذكرٌ للمدعو سبحانه؛ لأنه متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه[٤]، فهو ذكر

---

(١) ينظر مادة "ذكر": لسان العرب، لابن منظور ٣٠٨/٤، المصباح المنير، للفيومي ٢٠٩، مختار الصحاح، للرازي ٢٢٦.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٤١/٢.

(٣) ينظر: الرياض النضرة والحدائق النيرة الزاهرة، لابن سعدي٢٤٥.

(٤) كما في قوله ﷺ: (أفضل الدعاء الحمد لله) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ٤٦٢/٥ رقم ٣٣٨٣ وحسنه الألباني.
فسمى "الحمد لله" دعاء، وهو ثناء محض: لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.
ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٩/١٥، بدائع الفوائد، لابن القيم ٩/١، الدعاء وأحكامه الفقهية، للمهيزع ٤١.

وزيادة، والذكر يتضمن الطلب فهو دعاء[١]، إلا أن الذكر بمعنى الثناء على الله تعالى وتمجيده وتقديسه أفضل من دعاء المسألة والطلب[٢] من حيث الجملة؛ لأن «الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا ؟»[٣].

وفي هذا البحث سأقتصر على إيراد الأذكار التي تتضمن الدعاء؛ ليناسب عنوان البحث، حيث إنني قصرته على الأدعية المأثورة.

---

(١) ينظر : شأن الدعاء، للخطابي ٤ ، مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٩/١٥، بدائع الفوائد، لابن القيم ٩/١، تصحيح الدعاء، لبكر أبو زيد ٦، الدعاء وأحكامه الفقهية، للمهيزع ٤١/١.

(٢) معنى دعاء المسألة والطلب : طلب ما ينفع، أو طلب دفع ما يضر، بأن يسأل الله ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة. ينظر : بدائع الفوائد، لابن القيم ٥١٣/٣ .

(٣) الوابل الصيب، لابن القيم ١٢٠/١ ، وينظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٦٦٠/١١ ، ٣٨٩/٢٢، زاد المعاد، لابن القيم ١٩٤/١.

المطلب الثاني
أهمية الأدعية المأثورة

للدعـــاء أهميـــة عظيمـــــــة، فقد أمر الله عباده بدعائـــه وسماه عبادة، فقال تعـــالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، (والأمر بالفعل يستلزم قصد الشارع إلى وقوع ذلك الفعل)[١] ، والدعاء مظهر من مظاهر العبودية التامة لله، وفي الدعاء امتثال لأمره تعالى، وتحقيق لما يحبه[٢] ، يقول النبي ﷺ : (من لم يسأل الله يغضب عليه)[٣] ، وفيه إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ ، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة[٤]) [٥] ، وهو يزيد المسلم معرفة بعظمة ربه وكماله وجلاله وقيوميته، وبه يعرف نفسه بالضعف والذلة، فهو يُصلح باطن العبد، وينقذه من أدواء الأمراض كالكِبر والغرور، فالله « تعبّد العباد بالدعاء: ليستخرج الدعاءُ منهم صفاءَ الذكر وخشوعَ القلب ورقةَ التضرع، ويكون ذلك جلاءً للقلب»[٦] ، وإن افتتاح القرآن الكريم بالدعاء في سورة الفاتحة، واختتامه به في سورة

---

(١) الموافقات، للشاطبي ٢/٣٩٣.

(٢) ينظر : مدارج السالكين، لابن القيم ٣/١٠٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء ٥/٤٥٦ رقم ٣٣٧٣، قال الشيخ الألباني : (حسن) وصححه الحاكم في المستدرك ١/٦٦٨ رقم ١٨٠٧، ووافقه الذهبي.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ينظر : شأن الدعاء، للخطابي ٤ .

(٦) إحياء علوم الدين، للغزالي٤/٣٥٤ .

الناس، دليل على عظم شأنه، ومن يتأمل الأدعية المأثورة التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يجدها تمتاز بأمور كثيرة، منها :

١ - السلامة والأمان من الوقوع في الخطأ والزلل في الدعاء[١] ، فإن « باب الدعاء مظنة للخطر ، وما تحت قدم الداعي دَحْض[٢] ، فليحذر فيه الزلل، وليسلك فيه الجُدَد[٣] الذي يؤمن معه العَثار»[٤]، والأدعية المأثورة معصومة من ذلك: لأنها وحي الله وتنزيله[٥]، « فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان» [٦]، وقد يعتدي الداعي في دعائه. فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، ورسول الله ﷺ يقول : (سيكون قوم يعتدون في الدعاء)[٧] ، قال العلماء : «هو الخُروج فيه عن الوَضْع الشَّرعي والسُّنّة المأثُورَة »[٨] .

---

(١) مثل أن يدعو بما يستحيل حصوله شرعا، أو يدعو بمعصية، أو يتكلف السجع في الدعاء.
ينظر : فتح الباري، لابن حجر ٢٩٨/٨ ، فيض القدير ، للمناوي ١٣٠/٤ .

(٢) دَحْض: أي : زلق .
ينظر : مادة " دحض" في : القاموس المحيط، للفيروزآبادي ٨٢٨، مختار الصحاح، للرازي ٢١٨.

(٣) الجُدَد : جمع الجُدَّة، وهي الطرق، أو الطُّرُق تكون في الجبال.
ينظر : مادة "جدد" في: لسان العرب، لابن منظور١٠٧/٣ ، القاموس المحيط، للفيروزآبادي ٣٤٦، المصباح المنير، للفيومي ١١٩ .

(٤) شأن الدعاء، للخطابي ٣.

(٥) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٣١٩/١.

(٦) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية ٢١٤/٢ .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء ٤٦٦/١ ، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير٤٢١/٣. =

٢ - كمال هذه الأدعية في مبناها ومعناها، فألفاظها وعباراتها موجزة، ومعانيها ودلالاتها عظيمة واسعة، مشتملة على المقاصد العالية، والمطالب العظيمة، والخيرات العميمة[١]، مع ((غاية الاختصار، وحسن البيان))[٢].

٣- اشتمال الأدعية المأثورة على لغة غنية، وأدب جميل؛ ذلك أن مصدرها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكتاب الله (هو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه)[٣]، والنبي ﷺ ((أفصح الناس لسانا، وأوضحهم بيانا، وأوجزهم كلاما، وأجزلهم ألفاظا، وأصحهم معاني، لا يظهر فيه هُجْنة[٤] التكلّف، ولا يتخلله فَيْهَقة[٥] التَّعَسّف))[٦]، وقد أوتي جوامع

= ومن أمثلة الاعتداء في الدعاء :

أن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات.

أو يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة.

أو يسأله أن يطلعه على غيبه أو يسأله أن يجعله من المعصومين.

ينظر : بدائع الفوائد، لابن القيم ٥٢٤/٣، تصحيح الدعاء، لبكر أبي زيد ٦١.

(١) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر ٣١٢/١، وينظر : شأن الدعاء، للخطابي ٣٠٢.

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٥٧/١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ١٧٢/٥، رقم ٢٩٠٦، وضعفه الألباني.

(٤) هُجنة : الهُجْنة من الكلام ما يَعيبُ المتكلم به.

ينظر مادة "هجن" في : لسان العرب ٤٣١/١٣، القاموس المحيط ١٥٩٩.

(٥) فيهقة : مأخوذ من الفَهْق، وهو الامتلاء والاتساع، والمتفيهق هو الذي يتوسع في كلامه، ويتَنَطّع فيه، ويفتح به فاه.

ينظر : مادة "فهق" في : لسان العرب، لابن منظور ٣١٢/١٠، القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١١٨٨.

(٦) أعلام النبوة، للماوردي ٢٥٤/١.

الكلم[١]، فالدعاء المأثور يمثل واحداً من أرفع أساليب البلاغة العربية الناصعة، والتعبيرات العذبة، والمتأمل في الأدعية المأثورة يجدها كنزا لغويا حافلا بالمفردات الفصيحة، والتراكيب البليغة، وخزينة غنية بالمعارف العقلية، تأمل - مثلاً - قوله ﷺ: (اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أَضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ، أو أُزلَّ، أو أَظْلِمَ، أو أُظْلَمَ، أو أجْهَلَ، أو يُجْهَلَ عليَّ)[٢]، فقد «استعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز، وروعي المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية»[٣].

٤ - أن الدعاء المأثور إذا كانت صفته ما تقدم، فهو من أوقع الكلام في الكشف عن مكامن الضمائر، ومرادات النفس، ومتطلبات الروح، مع إبداع في استخدام أساليب الاستدعاء والرجاء والاعتذار، في حال العسر واليسر، والاضطرار والرخاء، وقد كان النبي ﷺ يسأل ربه، قائلاً: (اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء)[٤].

٥- أن الأدعية المأثورة بما اشتملت عليه من رجاء لأمور حسنة، واستعاذة من أمور سيئة، فيها تعليم للأمة بأن تتطلب هذه الأمور الحسنة، وتترك الأمور القبيحة التي وردت الاستعاذة منها[٥]، فهي في الحقيقة وسائل تربوية ناجحة، فإن الله تعالى ورسوله

---

(١) جوامع الكلم: الأقوال الوجيزة ذات المعاني الكثيرة، بنظم لطيف لا تعقيد فيه.
أو التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة.
ينظر: فيض القدير، للمناوي ٥٦٣/١، المرجع نفسه ٣٣٥/٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته ٧٤٦/٢، رقم ٥٠٩٤، وصححه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٢٧٢/٩.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧٠١/١، رقم ١٩١١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٥) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي ٤٦٦/٣.

الكريم ﷺ يرشدوننا إلى تربية أنفسنا على ما تضمنته هذه الأدعية المأثورة. فما ورد من استعاذته ﷺ من الجن ونحو ذلك مما حُفظ عنه ﷺ فيه « تعليم للأمة. وإلا فهو عليه الصلاة والسلام محفوظ من الجن والإنس »[١].

ولهذا كان النبي يعلم أهله وأصحابه ﷺ الأدعية، ودرج على ذلك صحبه الكرام، واعتنى أهل العلم بجمعها في مؤلفات مستقلة: لتكون بين أيدي الناس وفي متناولهم، ورغبوا الناس في الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء بهذه الأدعية في أقوال نُقلت عنهم، وسأوضح ذلك في الآتي :

أولاً : تعليم النبي ﷺ أهلَه وأصحابَه الأدعية :

لقد كان النبي ﷺ يعلم أهله وأصحابه ﷺ الأدعيةَ، ودرج على ذلك أصحابه ﷺ ، كما ورد في أحاديث كثيرة، منها:

أ - روى ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن...) الحديث[٢] .

ب - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ...) الحديث[٣] .

---

(١) عمدة القاري، للعيني ٢/٢٧٢ ، عون المعبود، للعظيم آبادي ٤/٢٨١ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/٢٤٢ ، رقم ٢١٦٨ ،وقال شعيب الأرنؤوط : « إسناده صحيح على شرط مسلم » .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٦٧، رقم ٢٥١٦، وقال: ((هذا حديث حسن صحيح)) ، وصححه الألباني .

ج ـ وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئا)[١] .

د ـ وروى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهنّ في قنوت الوتر ...) الحديث[٢] .

هـ ـ وعن زيد بن ثابت ﷺ : (أن رسول الله ﷺ علّمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح : لبيك اللهم لبيك والخير في يديك ومنك وإليك اللهم)[٣] .

و ـ ولما ذكر النبي ﷺ لأصحابه ما يقوله المسلم إذا أصابه هم أو حزن ، قال الصحابة ﷺ : يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : (بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن)[٤] .

ز ـ وكان الرجل إذا أسلم علّمه النبيُّ ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلماتِ (اللهُمَّ اغْفِر لي، وارْحَمْنِي، واهْدني، وعافِني، وارْزُقني)[٥] .

بل إن الصحابة ﷺ كانوا يحرصون على تعلّم الدعاء من النبي ﷺ، فهذا أبو بكر

---

(١) أخرج أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب في الاستغفار ١/ ٤٧٧ ، رقم ١٢٩١، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر ١/٤٥٢ ، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٦٩٧ ، رقم ١٨٥٤ ، وصححه، ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان) كتاب الرقائق، باب الأدعية ٢/٢٥٣ رقم ٩٧٧ ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك١/٦٩٠ ، وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ فإنه مختلف في سماعه من أبيه)) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ،٤/٢٠٧٣ برقم ٢٦٩٧ .

الصديق ﷺ يطلب من النبي ﷺ قائلا : يا رسول الله علّمني دعاء أدعو به في صلاتي وفي بيتي، قال: (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)[١].

وكان النبي ﷺ يرفع صوته بالأدعية ليسمعها الصحابة ﷺ فيتعلموها، فقد خدم أنس بن مالك ﷺ النبي ﷺ فترة طويلة من الزمن، وكان يقول : كنت أسمعه كثيرا يقول : (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال) [٢].

وقد استجاب الصحابة لهذا التعليم، وحرصوا على تطبيقه، فلما سأل عبد الرحمن بن أبي بكرة أباه قائلا : (يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة : اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثا حين تصبح وثلاثا حين تمسي، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته) [٣].

وسأل قتادة أنسا أي دعوة كان النبي ﷺ يدعو بها أكثر ؟ قال : كان أكثر دعوة يدعو بها يقول : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ، قال : وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها ، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه[٤].

وربما طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم؛ ليتعلموا دعاء يدعون به في المستقبل، ولأنهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام ٥/٢٣٣١ رقم ٥٩٦٧ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة ٥/ ٢٠٦٩ رقم ٥١٠٩ .

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٢/٧٤٥ رقم ٥٠٩٠، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء بـ "ربنا آتنا في الدنيا حسنة ..." ٤/٢٠٧٠ رقم ٢٦٩٠ .

يعلمون أن الله سيستجيب دعاء نبيه ﷺ ، فقد روى أنس ﷺ قال : قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، قال : (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته)[١] .

وطلب أحد الصحابة من النبي ﷺ أن يدعو له، فاستجاب النبي ﷺ لطلبه ودعا له. فقال : (اللهم بارك لهم في ما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم)[٢] .

وأرشد النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى بعض الأدعية الجامعة، ومنها: (اللهم إني أسألك من الخير كله ...) الحديث[٣]، وقد استنبط العلماء من ذلك «أنه ينبغي للعبد تعليم أهله حسن الدعاء؛ لأن كل خير ينالونه فهو له. وكل شر يصيبهم فهو مضرة عليه »[٤].

وبعد أن تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ هذه الأدعية، علّموها لمن بعدهم، فقد روى علي ﷺ أن مكاتبا[٥] جاءه، فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعنّي، قال : ألا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر ٢٣٣٦/٥ رقم ٥٩٧٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب استحباب وضع النوى خارج التمر، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام ١٦١٥/٣ رقم ٢٠٤٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء ١٢٦٤/٢ رقم ٣٨٤٦، وصححه الألباني .

(٤) سبل السلام، للصنعاني ٢٤٠/١ .

(٥) مكاتباً: المكاتب: العبد الذي قال له مولاه: إن أديت إلي ألفاً ، مثلاً، كل شهر مئة فأنت حر؛ فقبله؛ فهذا عقد الكتابة، فإذا أدى المال المشروط عتق، والولاء للمعتق، فإذا عجز رُدَّ إلى الرق. ينظر : أنيس الفقهاء، للقونوَي ١٧٠ .

أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل ثبير[١] دينا أداه الله عنك؟ قال: قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك)[٢].

ويتبين لنا قدر اتباع السلف الصالح لما ورد من الأدعية، حين نقرأ قولهم عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣]: « هو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، قال الطبري: كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب »[٤].

ثانياً: المؤلفات في الأدعية المأثورة:

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالأدعية المأثورة، ترغيباً للناس في الدعاء والذكر،

---

(١) جبل ثبير: بثاء مفتوحة، ثم باء مكسورة، جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب من منى إلى عرفات، وقيل: يقع على يسار الذاهب من مكة إلى منى. يقابل جبل حراء، ويمتد منه إلى أن يصل أواخر منى، وهو الذي أهبط عليه كبش الفداء لإسماعيل عليه السلام.
ويروى بلفظ "صبير" و "صير": جبل في الجزء الجنوبي من أجا. بوزن فَعَلٍ. في ديار طيء، فيه كهوف شبه البيوت.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٩/٣، معجم البلدان، لياقوت الحموي ٧٣/٢، فيض القدير، للمناوي ١١١/٣، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٧/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن الرسول ﷺ، باب في دعاء الرسول ﷺ ٦٥٠/٥ رقم ٣٥٦٣، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، وحسنه الألباني.

(٣) وهو ما رواه ابن عباس: أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب ٢٠٩٢/٤، رقم ٢٧٣٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٧/١٧.

وتبصيراً لهم بالمأثور منه، فألفوا عددا كبيرا من الكتب التي تتصل بالأدعية المأثورة. ولا يمكن استقصاؤها في هذا البحث[١] . ولكني أذكر منها ما يحصل به المقصود. فمن هذه المؤلفات :

١- المؤلفات في العصر القديم :

- الدعاء : لأبي عبدالله الحسين بن إسماعيل المحاملي [٣٣٠].
- الدعاء : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني [٣٦٠].
- شأن الدعاء : لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي [٣٨٨].
- سلاح المؤمن في الدعاء والذكر : لأبي الفتح محمد بن محمد بن علي، المعروف بـ (ابن الإمام) [٧٤٥هـ].

كما اهتم العلماء بالأذكار المأثورة، فألفوا فيها مؤلفات مستقلة. ومن الكتب التي ألفت في هذا المجال:

- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار : لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي [٦٧٦] .
- الكلم الطيب : لأحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بـ "ابن تيمية" [٧٢٨].
- الوابل الصيب من الكلم الطيب : لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية [٧٥١].
- الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين : لشمس الدين محمد بن

---

(١) ذكر صاحب أبجد العلوم عددا من هذه الكتب، تحت عنوان : (علم الأدعية والأوراد) ، أبجد العلوم، للقنوجي ٢/ ٤٧، وينظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة ٢/ ١٤١٧.

محمد بن الجزري الشافعي[٨٣٣].

وقد شرحه محمد بن علي الشوكاني [١٢٥٠] في كتابه : تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.

وألف عدد من العلماء كتباً في عمل اليوم والليلة تضمنت كثيرا من الأدعية المأثورة[١] .

٢ - المؤلفات في العصر الحاضر:

- فقه الأدعية والأذكار : للشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.
- حصن المسلم: للشيخ سعيد بن وهف القحطاني، وشرحه تحفة المسلم: لهاني الحاج وأسامة عبدالفتاح.
- موسوعة روائع الدعاء والأذكار : للشيخ أحمد سالم با دويلان.
- الدعاء من القرآن : للشيخ إبراهيم حسن وزنه .
- الاستشفاء بالدعاء : للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل.
- كنز الدعاء وأسراره : للشيخ محمود الغرباوي.

ثالثاً : أقوال أهل العلم وترغيبهم للمسلمين في الدعاء بالأدعية المأثورة :

نظراً لأهمية الأدعية المأثورة بالنسبة للمسلم في الدنيا والآخرة كما سبق، فقد حرص العلماء على ترغيب المسلمين فيها، وحثهم على المحافظة عليها، وتحذيرهم من

---

(١) منهم : الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بـ "ابن السني" ، والإمام أحمد بن شعيب النسائي.

ينظر : كشف الظنون، لحاجي خليفة ١١٧٢/٢.

الأدعية غير المشروعة؛ لأن « قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع »[١] ، و « من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل»[٢]، وقد نُقلت عنهم أقوالٌ كثيرة في ذلك، منها:

أ - قال صاحب كتاب "شأن الدعاء" في مقدمة كتابه، مبيناً سبب ترغيبه في الأدعية المأثورة : «إذ كان أولى ما يدعا به، ويستعمل منه ما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ ، وثبت عنه بالأسانيد الصحيحة؛ فإن الغلط يعرض كثيراً في الأدعية التي يختارها الناس؛ لاختلاف معارفهم، وتباين مذاهبهم في الاعتقاد والانتحال»[٣].

ب - وقال صاحب كتاب "الدعاء" في مقدمة كتابه، موضحاً سبب تأليفه لهذا الكتاب : « هذا كتاب ألفته جامعا لأدعية رسول الله ﷺ ، حداني على ذلك أني رأيت كثيرا من الناس قد تمسكوا بأدعية سجع، وأدعية وضعت على عدد الأيام، مما ألفها الوراقون، لا تروى عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ﷺ ولا عن أحد من التابعين بإحسان، مع ما روي عن رسول الله ﷺ من الكراهية للسجع في الدعاء والتعدي فيه، فألفت هذا الكتاب بالأسانيد المأثورة عن رسول الله ﷺ»[٤] .

ج - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وينبغي للخلق أن يدعو بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة؛ فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأنه الصراط المستقيم ...»[٥].

---

(١) الموافقات، للشاطبي ٢/٣٣١ .

(٢) المرجع نفسه ٢/٣٣٣ .

(٣) شأن الدعاء، للخطابي ص٢ .

(٤) الدعاء، للطبراني ٢٢ .

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١/٣٤٦، وانظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ١٠١.

د - وقال أيضاً : ((ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية))[١] ، ((فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان ولا يحيط بها إنسان))[٢].

هـ - وقال ابن القيم : ((وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده))[٣] .

و - وردّ بعض العلماء على من زعم أن عموم الدعاء أفضل من الأدعية المأثورة ، قائلا : ((فإنه لا يسترب منصف في أن ما علمه الله تعالى ورسوله ﷺ ، ودرج عليه الصحابة الكرام ﷺ، وتلقاه من بعدهم بالقبول، أفضل وأجمع وأنفع وأسلم))[٤] .

وإنّ ذكر أهمية الأدعية المأثورة لا يعني عدم جواز الدعاء بغير الأدعية المأثورة، متى سلم من المحاذير الشرعية، كالدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو أن يحافظ الداعي على دعاء معين يتخذه سنة راتبة، أو كان في الدعاء شرك أو نحو ذلك[٥] ، وسلم من الاعتداء في الدعاء[٦] .

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢٢/٥١٠.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية ٢ /٢١٤ .

(٣) الفوائد، لابن القيم ١/ ١٩٢.

(٤) روح المعاني، للألوسي ١٢٨/٦.

(٥) ينظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢٢/٥١١، بدائع الفوائد، لابن القيم ٣/٥٢٤، الدعاء وأحكامه الفقهية، للمهيزع ٨١.

(٦) ينظر أمثلة للاعتداء في الدعاء فيما تقدّم.

المبحث الأول

معنى مقاصد الشريعة، وأقسامها

المطلب الأول

معنى مقاصد الشريعة

أبدأ ببيان معنى " مقاصد الشريعة " من حيث كونها مركباً إضافياً، ثم أعرفها من حيث كونها لقباً :

أولاً : بيان معنى مصطلح "مقاصد الشريعة" باعتباره مركباً إضافياً: وهو مركب من كلمتين، "مقاصد" و"الشريعة" : أما كلمة " مقاصد " فهي في اللغة جَمْعُ " مَقْصَد " والمقصد : مصدرٌ ميمِي مُشْتَقّ من قَصَدَ، وله معان كثيرة، منها : الاعتماد، والأَمّ ، وإتيان الشيء، تقول: قصد الحجاجُ البيتَ الحرام، إذا أَمّوا تلك الجهة واعتمدوها، ومنها : استقامة الطريق، يقال : طريق قاصد، أي : سهل مستقيم، ومنها : العدل والتوسط، كقوله تعالى :﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾[لقمان: ١٩] [(١)] .

و "مقاصد" في الاصطلاح : هي المراد من تشريع الأحكام[(٢)].

وأما كلمة "الشريعة" فهي في اللغة : "فَعِيلة" من شَرَعَ يَشْرَعُ شَرْعاً، والشَّريعةُ والشِّراعُ والمَشْرَعةُ المواضعُ التي يُنْحَدر إلى الماء منها، فهي مَوْرِدُ الشَّارِبة، وهي الدين والملة والمنهاج والطريقة[(٣)].

---

(١) ينظر مادة "قصد" في: مقاييس اللغة، لابن فارس ٩٥/٥، لسان العرب، لابن منظور ٣٥٣/٣، القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٩٦ .

(٢) ينظر : علم مقاصد الشارع، للربيعة ٢٠ .

(٣) ينظر مادة "شرع" : الصحاح، للجوهري ١٢٣٦/٣ ، لسان العرب، لابن منظور ١٧٥/٨ ، القاموس المحيط، للفيروزآبادي ٩٤٦ .

وفي الاصطلاح : هو ما سنَّه الله من الأحكام ، وأنزله على نبي من أنبيائه[١] .

ثانياً : بيان معنى مصطلح "مقاصد الشريعة" باعتباره لقباً : وبهذا الاعتبار ذكر له العلماء عددا من المعاني، منها :

مقاصد الشريعة : هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة[٢] .

أو : هي ما راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من مصالح العباد، ومما يفضي إليها مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً [٣] .

وقريب من ذلك قولهم : هي المعاني والحِكَم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد [٤] .

والمراد بـ " عموماً وخصوصاً " : المقاصد العامة والخاصة :

فالمقاصد العامة : هي ما راعاه الشارع في أحكام الشريعة عامةً من حِكَم ومقاصد تجتمع عليها جميع الأدلة أو أكثرها .

والمقاصد الخاصة : هي الحِكَم أو العلل التي قصدها الشارع في كل حُكم من الأحكام [٥] .

---

(١) ينظر : التعريفات، للجرجاني ١٦٧ ، أنيس الفقهاء، للقونوي ٣٠٩ ، كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ٧٥٩/٢ .

(٢) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور ١٥ .

(٣) ينظر : علم مقاصد الشارع، للربيعة ٢١ .

(٤) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٣٧ .

(٥) ينظر : المرجع نفسه ٣٨ .

المطلب الثاني

أقسام مقاصد الشريعة

مقاصد الشريعة تنقسم إلى أقسام عدة، وباعتبارات متعددة[١] ، ويهمنا في هذا البحث ذكر أقسامها باعتبار المصالح التي جاءت بالمحافظة عليها، وهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المقاصد الضرورية :

وهي ما «لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين»[٢] .

والمصالح الضرورية بهذا المفهوم لا يستقيم نظام الأمة وأفرادها إلا بتحصيلها، بحيث إذا انخرمت تؤول حال الأمة إلى الفساد، وليست على الحالة التي أرادها الشارع منها[٣] ، وبالنظر إلى الواقع، وعادات الشرائع، والاستقراء، حصرت المقاصد الضرورية في خمسة أنواع : حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ النسل ، وحفظ المال[٤] .

---

(١) ينظر في هذه التقسيمات : مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ٣٠٠ ، مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٢٨٥، ٣٥١، ١٧٩.

(٢) الموافقات، للشاطبي ٨/٢ ، وينظر : البرهان في أصول الفقه، للجويني ٦٠٢/٢ ، المحصول، للرازي ٢٢٠/٥.

(٣) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور ٧٩.

(٤) ينظر : المحصول، للرازي ٢٢٠/٥ ، التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج ١٤٤/٣ ، شرح الكوكب المنير، للفتوحي ١٥٩/٤ .

القسم الثاني : المقاصد الحاجية :

وهي ما كان مفتقَراً « إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة »[١] .

والمقصود من المقاصد الحاجية : رفع الحرج عن المكلفين، وحماية الضروريات، وخدمتها، وذلك بتحقيق صلاحها وكمالها[٢].

القسم الثالث : المقاصد التحسينية :

وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق[٣] .

والمقاصد التحسينية حامية للمقاصد الحاجية، وخادمة للمقاصد الحاجية والضرورية .

فالمقاصد الحاجية والتحسينية - إذن - يقصد منها بالدرجة الأولى حماية المقاصد الضرورية والحفاظ عليها، إما مقدمة لها، أو مقارناً لها، أو تابعاً لها، وبها يظهر كمال الأمة، وحسن أخلاقها[٤] ، ويتضح كمال هذه الشريعة وسموّ تشريعاتها، وتحقيق المصالح فيها[٥] .

---

(١) الموافقات، للشاطبي ١١/٢ .

(٢) ينظر : المرجع نفسه ١٦/٢ - ١٨ ، مقاصد الشارع، للربيعة ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) ينظر : الموافقات، للشاطبي ١١/٢، المحصول، للرازي ٥/ ٢٢٢ ، الإبهاج، للسبكي ٥٦/٣.

(٤) ينظر : الموافقات، للشاطبي ٢٤٢/٢ ، مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٣٣٥، علم مقاصد الشارع، للربيعة ١٣٨ .

(٥) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٣٢٨.

وقد «اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس : الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل»[١] .

وهذه المحافظة تكون بأمرين :

أحدهما : المحافظة عليها من جانب الوجود : وذلك بحفظ ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها.

والثاني : المحافظة عليها من جانب العدم : وذلك بحفظها مما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها[٢] .

---

(١) الموافقات، للشاطبي ٣٨/١ .

(٢) ينظر : المرجع نفسه ٨/٢.

المطلب الثالث

الأدعية المأثورة ومقاصد الشريعة

تبين فيما سبق أن الدعاء هو العبادة ، وأن الله سماه عبادة؛ لأن الداعي مقبل على الله تعـــالى، معرض عما سواه؛ ولما يظهره من الذلــة والمسكنة والافتقار إلى الله، والعبادة هي التذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى[١]، وقوله تعالى :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] يشير إلى أن الدعاء « مأمور به، إذا أتى به المكلف قُبل منه لا محالة، وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب. وما كان كذلك كان أتم العبادة»[٢] ، وباستقراء أحكام الشريعة تبين دورانها على تحقيق المصالح للعباد ودفع المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة؛ فهي تمنحهم في الدنيا السعادة وطمأنينة القلب ونحو ذلك، وفي الآخرة الجنة ورضوان الله تعالى[٣] ، فـ « الشارع وضع الشريعة على اعتبار المصالح باتفاق »[٤] ، وتكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات[٥] ، وكل ما يحفظ هذه المقاصد فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة[٦] ، وبالأدعية الشرعية ييسر الله للعباد مصالحهم في العاجل والآجل، « فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا

---

(١) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٥٤٠/٣، عون المعبود، للعظيم آبادي ٢٤٧/٤.

(٢) فيض القدير، للمناوي ٤٤/٢ .

(٣) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٣٩١.

(٤) الموافقات، للشاطبي ١٣٩/١ .

(٥) ينظر : المرجع نفسه ٧/٢.

(٦) ينظر : المستصفى، للغزالي ٢٧٨/١.

بيد العبد. فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له ، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجاً دونه .. وما أُتي من أُتي إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء ... ولا ظَفِر من ظَفِر - بمشيئة الله وعونه - إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء»[١] ، يقول الله تعالى في الحديث القدسي : (ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم)[٢] . وفي هذا الحديث «تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك»[٣] ، فالعباد محتاجون للشريعة لأن فيها مصلحتهم، ومفتقرون إلى الله ليطرحوا بين يديه بالدعاء طالبين منه أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم وأعراضهم، فمن مصلحة العبد كثرة اللجوء والتضرع إلى الله سبحانه، وهذه هي مقاصد الشريعة؛ فإن «الشرع لا يعتبر من المقاصد إلا ما تعلق به غرض صحيح، محصل لمصلحة أو دارئ لمفسدة»[٤]، وهو يحيط بجزئيات من المصالح قد لا تحيط بها عقول الناس[٥] ، وعلى المسلم أن يكون قصده في الدعاء موافقاً لقصد الشارع، وأن لا يقصد خلاف ما قصده الشارع ؛ لأنه خُلق لعبادة الله، فعليه أن يعمل على وفق ما أراده الله، ف « لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف

---

(١) الفوائد، لابن القيم ١٢٨/١٢٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد ٦٣/١.

(٤) الفروق، للقرافي ١٩٤/١.

(٥) ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية، لليوبي ٤٥٢ .

والاتباع لا على الهوى والابتداع »[١]، وإذا كان الدعاء مشروعاً فإن الأفضل الدعاء بالأدعية المأثورة؛ لما سبق[٢]، وبتتبع الأدعية المأثورة وجدت أن لها علاقة واضحة بحفظ مقاصد الشريعة، وأُجمل بيان ذلك بالأمثلة، على النحو التالي :

أولاً : أمثلة لأدعية مأثورة لها معان عامة تتعلق بحفظ مقاصد الشريعة عموماً.

فقد (كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء)[٣]، أي: الجامعة لخير الدنيا والآخرة[٤]، ومن هذه الأدعية :

أ - الدعاء الوارد في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[البقرة: ٢٠١] [٥]، وكان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء[٦]، وهو يتضمن طلب مصالح الدنيا والآخرة، وطلب المصالح يتضمن طلب درء المفاسد فيهما[٧].

ب - ما ورد أن النبي ﷺ كان يدعو بقوله : (ياحي يا قيوم برحمتك أستغيث

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢٢/٥١٠ .

(٢) ينظر : أهمية الأدعية المأثورة : ص ٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء١/٤٦٧ رقم ١٤٨٢، وصححه الألباني.

(٤) ينظر : عون المعبود، للعظيم آبادي ٤/٢٤٩ .

(٥) وكان أنس ﷺ إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها ، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه .
أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء بـ"ربنا آتنا في الدنيا حسنة ... ٤/٢٠٧٠ رقم ٢٦٩٠ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) ٥/٢٣٤٧ ، رقم ٦٠٢٦ .

(٧) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر ٢/٤٣٥ .

أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[١].

وهذا الحديث من جوامع الكلم ؛ لأن صلاح الشأن كله يتناول أمور الدنيا والآخرة جميعها، فيفوز قائل هذا . إذا تفضل الله عليه بالإجابة . بخيري الدنيا والآخرة[٢].

ج - وكان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال : (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله)[٣] .

فإن النبي ﷺ «نبه بذكر الأمن والسلامة على طلب دفع كل مضرة، وبالإيمان والإسلام على جلب كل منفعة، على أبلغ وجه، وأوجز عبارة»[٤] ؛ فإن «نعمة الإيمان والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها»[٥] .

د - وقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ علّمها هذا الدعاء : (اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم . وأعوذ بك من

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٧٣٠ رقم ٢٠٠٠، وصححه، ووافقه الذهبي ، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني ١/٢٧٣ رقم ٦٥٤.

(٢) ينظر : تحفة الذاكرين، للشوكاني ٦٧ ، فيض القدير، للمناوي ٣/٥٢٦.
قال البيهقي معلقا على هذا الدعاء : « كل هذا الإشفاق منه على ما وضع في قلبه من الإيمان ووفق له من أعمال الإيمان، علما منه بأنه إذا سلب التوفيق ووكل إلى نفسه لم يملك لنفسه شيئا، فينبغي لكل مسلم أن يكون هذا الخوف من همه » .
شعب الإيمان، للبيهقي ١/٤٧٦.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (بترتيب ابن بلبان) ٣/١٧١ ، رقم ٨٨٨، قال شعيب الأرنؤوط : «حديث صحيح لغيره » ، وأخرجه بنحوه الترمذي في سننه، ٥/٥٠٤ ، وقال: « هذا حديث حسن غريب » ، وصححه الألباني.

(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/٢٩١.

(٥) فيض القدير، للمناوي ٥/١٣٥.

الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك ، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا)[١] .

وهذا الدعاء قد حوى معاني تتصل بجلب مصالح الدنيا والآخرة ودفع المفاسد فيهما، بلفظ موجز بليغ، فهو « من جوامع الكلم ... وفيه تنبيه على أن حق العاقل أن يرغب إلى الله أن يعطيه من الخير ما فيه مصلحته مما لا سبيل بنفسه إلى اكتسابه»[٢].

ثانياً : أمثلة لأدعية مأثورة تتعلق بحفظ مقاصد الشريعة باعتبار المصالح التي جاءت بالمحافظة عليها، وهي الضروريات، أو الحاجيات، أو التحسينيات ، ومن هذه الأمثلة :

أ - الدعوات التي كان رسول الله ﷺ لا يدعها حين يمسي وحين يصبح، ومنها : (اللهم احفظني من بين يَدَيَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فَوْقِي وأعوذ بعظمتك أن أُغْتالَ من تَحْتي)[٣]، ففيها طلب حفظ الضروريات، حيث تضمن هذا الدعاء الطلب من الله بأن يحفظ الداعي من المهالك والبلايا التي تعرض لابن آدم من الجهات الست، ويمكن أن يكون مثالاً لما يتعلق بحفظ الحاجيات، فقد تضمن تضرع الداعي إلى الله بأن يحفظه من الأمراض والأخطار التي تدخله في الضيق والحرج

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء ، ٢/ ١٢٦٤ رقم ٣٨٤٦، وصححه الألباني.

(٢) فيض القدير، للمناوي ١٢٨/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ٧٣٨/٢ رقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني.

والمشقة، وتعكر عليه صفو حياته، كما يمكن أن يكون مثالاً للتحسينيات، لأن الدعاء عام يشمل الأمراض البسيطة التي لا تؤدي إلى الهلاك أو إلى الحرج والمشقة، كما يشمل التضرع إلى الله بأن يحفظه مما يدنس سمعته من الأخلاق السيئة والأعمال المشينة التي تأنفها العقول السليمة.

ب - ورد من دعاء النبي ﷺ : (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)[١] ، فإن كان الدعاء لطلب ما يسد رمق الإنسان من المطعم، وما يقيه بأس الحر وشدة البرد من الملبس والمسكن، ويدفع عنه الهلاك، فهو مثال للضروريات. وإن كان لطلب الكفاية فيما يحتاج إليه من ذلك بحيث يدفع عنه الضيق والحرج، فهو مثال للحاجيات. وإن كان لطلب اللذيذ من الطعام والجميل من اللباس والواسع من المسكن. وما يتصل بذلك من الآداب الحسنة، فيصلح مثالاً للتحسينيات.

ج - أيضا ما ورد (أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جهد[٢] البلاء، ودرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)[٣] . وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: (تعوذوا بالله من جهد البلاء ...) الحديث[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٧/٤ رقم ٢٧٢٠ .

(٢) جهد : الجهد بفتح الجيم وبضمها، والفتح أشهر، وهي المشقة، وكلما أصاب الإنسان من شدة المشقة والجهد، والمراد : الْحَالَة الشَّاقَّة .
ينظر : عمدة القاري، للعيني ٣٠٣/٢٢ ، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٨٤٨/١

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من جهد البلاء ٢٣٣٦/٥ رقم ٥٩٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء ٢٤٤٠/٦ رقم ٦٢٤٢ .

فقد شرع للمسلم أن يستعيذ بالله من كل مصيبة سواء في نفسه أو أهله أو ولده أو غير ذلك؛ فإن كانت هذه المصيبة مما يهلك به الإنسان فهو داخل في الضروريات، وإن كانت المصيبة مما يلحق به حرجا أو شدة أو مشقة، فالدعاء متصل بالحاجيات، وإن كانت تتصل بأخلاقه أو بلذائذ أطعمته أو نحوها مما لا يؤدي به إلى الهلاك أو الحرج والمشقة، فهو دعاء يتعلق بالتحسينيات.

وفي فتح الباري: «وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وسيء الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير، ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره؛ لما فيه من الخضوع والتذلل للرب سبحانه»[1].

كما أن هناك أمثلة لأدعية مأثورة تتعلق بحفظ قسم أو أقسام محددة من المقاصد الضرورية الخمسة التي اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة عليها، وهي الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل[2]، سواء من جانب الوجود؛ وذلك بحفظ ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، أو من جانب العدم؛ بحفظها مما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها[3].

وفي هذا البحث سأسلط الضوء على الأدعية المأثورة التي تبرز العلاقة الواضحة بينها وبين حفظ مقصد النفس، كأنموذج لعلاقة هذه الأدعية بحفظ مقاصد الشريعة.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر ١٠/١٣٣ .

(٢) ينظر: الموافقات، للشاطبي ١/٣٨ .

(٣) ينظر: المرجع نفسه ٢/٨.

وإنما قلت في عنوان البحث : "علاقة الأدعية المأثورة بحفظ مقاصد الشريعة" ، ولم أقل : " الأدعية المأثورة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة" أو نحو هذا العنوان؛ لأن أحوال إجابة الدعاء «تتنوع : فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب، حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها»[1]. فما يدعو به المسلم قد لا يحصل فلا يقع ما يحفظ به ذلك القسم من أقسام المقاصد الشرعية، ولكن له علاقة بهذا القسم من حيث المعنى، وهو إن لم يُستجب لشخص فقد يُستجاب لداع آخر، وعلى كل حال سيعود إلى حفظ مقصد الدين؛ لما سبق من أن الدعاء عبادة؛ لما يصحبه من الخشوع والخوف والرجاء، يبعثها في قلب الإنسان إحساسُه بعبوديته التامة لله تعالى .

---

(١) فتح الباري، لابن حجر ٣٤٥/١١ ، وينظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٩٣/٨.

المبحث الثاني

الأدعية المأثورة وعلاقتها بمقصد حفظ النفس

عُنيت الشريعة بحفظ النفس المعصومة، فشرعت من الأحكام ما يجلب لها المصالح، ويدفع عنها المفاسد، وذلك بضمان سلامتها وصحتها. والوقاية من كل ما قد يؤدي إلى الإضرار بها، وحفظها بهذا المعنى هو آكد الضروريات التي تجب مراعاتها بعد حفظ الدين؛ فإن «الفساد إما في الدين وإما في الدنيا، فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق، ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر»[(١)]؛ لأن تعريض النفس للمهالك يؤدي إلى فقد المكلف الذي يعبد الله تعالى، وهذا يؤدي إلى عدم إقامة الدين. وحفظها يشمل أيضاً حفظ كرامتها وحفظها من تلاعب الشيطان بها، فإن أصاب النفس مرض ونحوه فإنما ذلك لحِكَم ومصالح، ومنها أن يلجأ العبد إلى ربه فيتعلق قلبه به عما سواه؛ لأن الشفاء بيده، قال تعالى: على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فيدعوه المبتلى أن يكشف ما حل به من الأدواء والأمراض، قال بعض السلف: «ينزل البلاء ليستخرج الدعاء»[(٢)].

والناظر في الأدعية المأثورة يلحظ أنها تؤكد على مقصد حفظ النفس، من جانب الوجود ومن جانب العدم، وبيان ذلك في الآتي:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ٧٢.

(٢) ينظر: علم مقاصد الشارع، للربيعة ١٣١.

(٣) الشكر، لابن أبي الدنيا ١٣٣.

المطلب الأول

الأدعية المأثورة وعلاقتها بمقصد حفظ النفس من جانب الوجود

وتتجلى هذه العلاقة من خلال الأمور التالية :

١-سؤال الله العافية[١] من الأسقام، وحمده عليها، والاستعاذة به تعالى من تحولها:

فإن العافية من أجلّ نعم الله على عبده، وأوفرها عطاء، وأجزلها منحة[٢]، والدعاء بالعافية هو دعاء بدوامها واستمرارها[٣]، وقد كثرت الأحاديث التي ورد فيها سؤال الله العافية، ومنها ما يلي :

أ ـ ورد أن أبا بكر الصديق ﷺ صعد المنبر، ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: (اسألوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين[٤] خيرا من العافية)[٥] .

وفي هذا الدعاء يطلب المسلم من ربه أن يسلمه من الأسقام والآثام، ومن جميع

---

(١) العافية :أن تسلم من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض .
وقيل : السلامة ودفع البلاء والمكروه في الجسد.
النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٥٢٤/٣ . فيض القدير، للمناوي ٨٦/١ .

(٢) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٣٦١/٦ .

(٣) ينظر : المرجع نفسه ٨٣/٢ .

(٤) بعد اليقين : أي : بعد الإيمان .
ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ١٠ /٣ ، فيض القدير ، للمناوي ٤/ ١٠٧.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، ٥٥٧/٥ رقم ٣٥٥٨، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر ﷺ ، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح .

المكروهات والمصائب في بدنه[١].

ب ـ وورد أن النبي ﷺ لم يكن يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَفْوَ والعَافيةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَفْوَ والعَافيةَ في دِيْني ودُنْيَاي ... اللهُمَّ احْفَظْني مِنْ بيْنِ يَدَيَّ، ومِنْ خَلْفِي، وعَنْ يَميني، وعَنْ شِمَالي، ومِنْ فَوْقِي، وأعُوذُ بِعَظَمَتكَ أنْ أُغْتالَ مِنْ تَحْتي)[٢].

وقد تضمن الحديث الطلب من الله بأن يحفظ الداعي من المهالك والبلايا التي تعرض لابن آدم من الجهات الست؛ لأن ما يلحق الإنسان من المضار والفتن إنما يصله من أحدها، فـ «العبد بين أعدائه من شياطين الإنس والجن، كالشاة بين الذئاب، إذا لم يكن له حافظ من الله فما له من قوّة»[٣].

وإنما صرح بجهة الفوق؛ لأن منها ينزل البلاء والصواعق والعذاب، وبالجهة التحت لكثرة ما يعرض لابن آدم من هذه الجهة من المهالك مثل الخسف ونحوه[٤]، فقد «عمّ الجهات؛ لأن الآفات منها، وبالغ في جهة السفل لرداءة الآفة»[٥].

ومثل ذلك ما روى أنس بن مالك ﷺ قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ثم أتاه

---

(١) ينظر: عمدة القاري، للعيني ٨/٢٥، شرح السيوطي على مسلم ٣٤٤/٤، عون المعبود، للعظيم آبادي ٢١١/٧، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٩/١٠، فيض القدير، للمناوي ٢٩٣/٥.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٢/٧، عون المعبود، للعظيم آبادي ٢٨١/١٣، حاشية السندي على النسائي ٢٨٢/٨، فيض القدير، للمناوي ١٢٥/٢.

(٤) ينظر: سبل السلام، للصنعاني ٢٤٠/١.

(٥) عون المعبود، للعظيم آبادي ٢٨٢/١٣، حاشية السندي على النسائي ٢٨٢/٨، فيض القدير، للمناوي ١٢٥/٢.

من الغد، فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ثم أتاه اليوم الثالث، فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أعطيتهما في الدنيا ثم أعطيتهما في الآخرة فقد أفلحت)[١].

ج - ونظراً لأهمية العافية والمعافاة، ولما تحمله من معان مهمة في حياة المسلم وبعد مماته، فقد عدّ النبي ﷺ الدعاء بالمعافاة أفضل الدعوات، كما روى أبو هريرة قال رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ:(ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة)[٢].

والمعافاة: هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك، بأن يصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم، في النفس أو الأهل أو المال أو غير ذلك[٣]، في الدنيا والآخرة.

د - وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه التضرع إلى الله بطلب العافية، فقد ورد عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وتولنيَ فيمن توليت)[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات ٥/ ٥٣٣ رقم ٣٥١٢، وقال: ((هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث سلمة بن وردان))، وأحمد في مسنده ٣/ ١٢٧رقم ١٢٣١٢، قال شعيب الأرنؤوط: ((حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف سلمة بن وردان المدني))، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، كتاب الأذكار، باب دعاء الأخ بظهر الغيب ٢٢٢/١ رقم ٦٣٧، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه، الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية ١٢٦٦/٢ رقم ٣٨٥١، وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ١٣٠/٣ رقم ١١٣٨.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير ٥٢٤/٣، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٤٧/٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب القنوت في الوتر ٤٥٢/١ رقم ١٤٢٥، وصححه الألباني.

فالمسلم في هذا الدعاء يطلب من الله أن يبرئه من الأدواء، ويحفظه من الشر، ويسلمه في بدنه وجميع جسده[١]. والمراد بقوله: "وتولني فيمن توليت" طلب من الله أن يتولاه، فإن الله إذا أحب عبدا قام بحفظه وحفظ أمره[٢].

هـ - ومثل هذا الدعاء ما جاء في صحيح مسلم أن الرجل إذا أسلم عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: (اللهُمَّ اغْفِر لي، وارْحَمْنِي، واهْدني، وعافِني، وارْزُقني)[٣].

ومثله أيضاً ما كان يقوله النبي ﷺ بين السجدتين، وفيه: (وعافني ... وارزقني)[٤]، ففي هذا الدعاء سؤال الله أن يعافيه من الآفات وينجيه من البلايا والمحن، وأن يرزقه ما يقيم به بدنه من طعام وشراب[٥].

ز - وربما خص بعض أعضاء البدن فصرح بطلب العافية فيه، كما روى عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: (يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة: اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت، تعيدها ثلاثا حين تصبح وثلاثا حين تمسي، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته)[٦].

وقد علل العلماء تخصيص هذه الجوارح في هذا الدعاء؛ بأن هذه الجوارح هي

---

(١) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي ٢١١/٤، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٤٦٠/٢.

(٢) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٤٦٠/٢.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب ما يقول بين السجدتين٧٦/٢ رقم ٢٨٤، وصححه الألباني.

(٥) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، للبدر ١٥٤/٢.

(٦) سبق تخريجه.

الطريق إلى القلب الذي بصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله؛ «لأن العين هي التي تنظر آيات الله المثبتة في الآفاق، والسمع يعي الآيات المنزلة، فهما جامعان لدرك الآيات العقلية والنقلية، وإليه سر قوله في حديث آخر: (اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا[1])»[2].

أما حمد الله على العافية فقد وردت فيه أدعية، منها ما روى أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك إلا عوفي من ذلك البلاء)[3].

فمن رأى مبتلى بنوع من الأمراض والأسقام كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها، شرع له أن يحمد الله على العافية، فهي أوسع من البلية؛ لأنها مظنة الجزع والفتنة، وحينئذ تكون محنة أي محنة، فيحمد الله على أن سلّمه من هذا البلاء الذي ابتلاه به، وينبغي أن يقول هذا الذكر سراً، بحيث يُسمع نفسه، ولا يُسمعه المبتلى؛ لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون البلية معصية، فلا بأس أن يُسمعه؛ ليكون ذلك زاجرا له، إلا إذا خاف أن يترتب عليه مفسدة[4].

أما الاستعاذة بالله من تحول العافية، فقد وردت في أدعية، منها : ما روي أن النبي ﷺ كان يدعو بقوله: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات ٥ /٥٢٨ رقم ٣٥٠٢ بلفظ: (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) فيض القدير، للمناوي ٢/١٣٥.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى ٥/٤٩٣ رقم ٣٤٣١، وصححه الألباني.

(٤) ينظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩ /٢٧٥ ، فيض القدير، للمناوي ٦/١٣٠.

وفجاءة نقمتك)[١] .

وفي هذا الدعاء يستجير المسلم بالله من أن تزول نعمته، وهو بلا شك مضر ببقاء نفسه، أو انقلاب العافية إلى مرض أو بلاء، ومن فجاءة نقمة الله عليه، فإن مَن نقم الله عليه فقد حل به البلاء الذي لا يقدر على دفعه إلا الله، ثم ختم بالاستجارة بالله من جميع ما يسخطه؛ لأن من سخط عليه الله فقد هلك وخاب وخسر[٢] .

وقد ذكر العلماء الفرق بين الزوال والتحول، فقالوا : الزوال: يقال في شيء كان ثابتا في شيء ثم فارقه، والتحول: تغير الشيء وانفصاله عن غيره، فمعنى زوال النعمة: ذهابها من غير بدل، وتحول العافية: إبدال الصحة بالمرض والغنى بالفقر[٣] .

٢ -الدعاء بتيسير المطعم والملبس والمسكن، وحمد الله عليها، وطلب الزيادة والبركة في ذلك:

وهذه من الأمور المهمة في حياة الإنسان ومعاشه وبقاء نفسه[٤] ، فحفظ « بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكل والمشرب، وذلك ما يحفظه من داخل، والملبس والمسكن، وذلك ما يحفظه من خارج »[٥] ، وقد أرشد الله عباده إلى طلب الطعام والملبس منه سبحانه وتعالى، كما ورد في الحديث القدسي، وفيه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٤/٢٠٩٧ رقم ٢٧٣٩.

(٢) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٥٢٠ .

(٣) ينظر : عون المعبود، للعظيم آبادي ٤/٢٨٣ ، فيض القدير، للمناوي ٢/١١٠ ، سبل السلام، للصنعاني ١/٢٤٠ .

(٤) أما أخذ الزينة في اللباس والأطيب من السكن والمطعم، فهو من التحسينيات . ينظر : الموافقات، للشاطبي ٤/٣١ .

(٥) المرجع نفسه ٤/٢٧.

«ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم»[١] ، أي: اطلبوا مني الطعام واللباس أيسر لكم أسباب تحصيلهما، وإن من شروط إجابة الدعاء أن يكون مطعم الداعي ومشربه حلالا[٢] ، وقد كثرت الأدعية المأثورة المتصلة بذلك[٣]، ومنها :

أ ـ كان من دعاء النبي ﷺ (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)[٤] . وفي هذا الدعاء يسأل المسلم ربه أن يهبه الكفاية فيما يحتاج إليه ويصلح حاله في الدنيا: من مطعم وملبس ومسكن ونحو ذلك ، وكونه حلالا معينا على الطاعة[٥] .

ب ـ ومن دعائه ﷺ في القنوت : (وبارك لي فيما أعطيت)[٦] والبركة : هي الخير الكثير الثابت ، ففي هذا سؤال الله البركة في كل ما أعطاه من مطعم وملبس ومسكن أو غير ذلك، بأن يثبته له ويوسع له فيه، ويحفظه ويسلمه من الآفات[٧] .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك ؟) . أخرجه مسلم في صحيحه، في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ٢/٧٠٣ ، رقم ١٠١٥.

(٣) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٤/٤٧٦ .

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٢/١٣٧ .

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر ٢/١٧٧ .

ج - وروى أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي)[١] .

والمقصود شكر نعم الله وطلب الزيادة؛ لقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: ٧]، ولما كان الباعث هنا هو الطعام ذكره أولا لزيادة الاهتمام به، والسقي من تتمته لكونه مقارنا له في الغالب، ثم ختم بذكر المسكن والمأوى[٢] .

د - وروى أبو سعيد الخدري ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه، إما قميصا أو عمامة، ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له)[٣] .

وفي هذا الدعاء ثناء لله على نعمه، ومنها أنه ستر عورته[٤] ، وافتقار إليه سبحانه أن يوفقه لاستعمال هذا الثوب في خير ما صنع له، و هو استعماله في الطاعة، وأن يعصمه من استعماله في شر ما صنع له، وهو استعماله في المعصية[٥] .

قال راوي الحديث: فكان أصحابه ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له : (تبلى ويخلف الله تعالى)، وهذا دعاء له بأن يسلّمه الله ويحفظه حتى يُعمّر، ويلبس ذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٥ رقم ٢٧١٥.

(٢) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/٢٩٨ ، فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٧٢

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في اللباس ٢/٤٣٩ رقم ٤٠٢٠ وصححه الألباني.

(٤) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٣٠٨ .

(٥) ينظر : فيض القدير، للمناوي ٥/٩٨ .

الثوب حتى يَبلى ويصير خَلَقا ، ويُخلِفه الله خيراً منه[١] .

هـ - وذكر الله دعاء نوح عليه السلام ، ومنه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩] ، وفيه تعليم من الله ﷻ لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا ، أن يقولوا هذا الدعاء؛ ليبارك الله لهم في مركبهم وفي المكان الذي ينزلون فيه سواء كان بيوتهم أو غيرها[٢] .

وورد عنه ﷺ أنه كان يقول : (من نزل منزلا ، ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك)[٣] ، ويتأكد هذا القول إذا كان المسكن أو نحوه مظنة للهوام والحشرات ونحوها مما يؤذي[٤] . ونقل عن بعض العلماء قولـه : ((هذا خبر صحيح، وقول صادق، علِمنا صدقه دليلا وتجربة))[٥] .

و - وأثر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد دخول قرية يقول حين يراها : (اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها)[٦] .

---

(١) ينظر : المرجع نفسه ، نيل الأوطار، للشوكاني ٩٦/٢ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١١٠/١٢ ، روح المعاني ٢٨/١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٢٠٨٠/٤ رقم ٢٧٠٨ .

(٤) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ٤٤٦/١ .

(٥) المرجع نفسه ٤٤٦/١ ، تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٧٩/١.

(٦) صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان) كتاب الصلاة ، باب المسافر ٤٢٥/٦ رقم ٢٧٠٩ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .

فهذا دعاء من النبي ﷺ لربه أن يجعل هذه القرية مباركة عليه، وأن يمنحه من خيرها، وأن ييسر له السكنى فيها بالسلامة والعافية، ويوفقه لخير ما عند أهلها من الإيمان والصلاح والاستقامة والتعاون على الخير، ونحو ذلك، وييسر له خير ما فيها من المساكن والمطاعم وغير ذلك[١].

٣ -الدعاء بتيسير وسائل التطهر والتنظف بما يكون سبباً في حفظ نفس :

من مبادئ الشريعة الإسلامية النظافة في الجسم والملبس والمسكن؛ لأنها تحمي الإنسان من الأمراض، والوقاية خير من العلاج، ومن هنا شرع الإسلام الغسل، وتقليم الأظافر، وحلق الشعر ونحو ذلك[٢]، و « الطهارة شرعت للنظافة على الجملة »[٣].

وقد وردت أدعية يطلب فيها المسلم أن ييسر الله له وسائل التطهّر، من ذلك : ما شرع للمتوضئ أن يقول بعد وضوئه وبعد غسله : (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[٤].

وهذا الدعاء تضمن أربعة أمور : أمرين حسيين، وهما : النجاسة التي تزول بالماء، فهي ومزيلها حسيان، وأما الأمران المعنويان: فأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار، فإنها هي ومزيلها معنويان، وصلاح القلب وحياته - الذي به يتم صلاح الجسد - لا يتم إلا بهذا وهذا، فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسما نبه به على القسم الآخر، فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن البيان، وأيضاً فإن

---

(١) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٢٧٩ .

(٢) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٨/٢٧ ، صيد الخاطر، لابن الجوزي ١/٨٩ .

(٣) الموافقات، للشاطبي ٢/٥٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء ١/٧٨ رقم ٥٥، قال الشيخ الألباني : صحيح.

طهارة « القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته »[١] .

٤ -طلب الأمن الشامل :

الأمن من أعظم النعم، ومن أهم الضروريات للإنسان، فليس شيء من أمر الدنيا يهنأ به صاحبه إلا مع الأمن، ولا يتذوّق طعم النعم الأخرى إلا به. ويراد بالأمن: اطمئنان النفس، وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه. وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك[٢] ، ويشمل بالأولى السلامة من الشرك ومجانبته، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، ولما يجلبه الأمن من مصالح عظيمة فإن الشريعة راعت في توجيهاتها ما يحقق الأمن الشامل في جميع جوانب الحياة[٣] ، ومن ذلك الأدعية التي أثرت عن الشارع الحكيم ؛ فالذكر وما يتضمنه من الدعاء «يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عظيم في حصول الأمن»[٤] ، ومن هذه الأدعية والأذكار :

أ - ما ورد أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال، قال: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله)[٥] .

ونلحظ في هذا الدعاء أن الشريعة ربطت بين الأمن والإيمان وبين السلامة

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٥٦/١ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٣١/٧ ، ٢١٥/١٩.

(٣) ينظر : الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د . عبدالرحمن السديس ٢٤.

(٤) الوابل الصيب، لابن القيم ١٠٥.

(٥) سبق تخريجه.

والإسلام[١] ؛ لأنها تهب المسلم شعورا بالأمن والاطمئنان، وتكسبه مناعة ووقاية من القلق والخوف ونحو ذلك مما يسلب الأمن، كما تساعده على الشفاء من هذه الأمراض لو حصلت له[٢] ، فالإنسان ضعيف قد يحطمه اليأس والألم، والجوع والفقر، وقد يزين له الشيطان أعمالاً خطيرة، كالقتل العمد، وخيانة الأمة والوطن، وسرقة الأموال المحرمة، والعلاج لكثير من هذه الأمور هو الإيمان بالله، والاستقامة على دينه، والاستغناء بالحلال عن الحرام، والحذر من الأهواء والشهوات وما ينجم عنها من المعاصي والجرائم[٣] ، ولهذا فإنه ﷺ «نبه بذكر الأمن والسلامة على طلب دفع كل مضرة، وبالإيمان والإسلام على جلب كل منفعة، على أبلغ وجه وأوجز عبارة»[٤] ؛ لأن

---

(١) وقد تضافرت نصوص الشريعة بذلك، ومنها:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده١/١٣ رقم ١٠.

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم). أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٥/١٧، رقم ٢٦٢٧، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) ينظر: الأمن النفسي عند المؤمنين، د. عبدالغني الغامدي ٢٣.

(٣) ينظر: أخلاق المسلم، د. وهبة الزحيلي ٤٩٨، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبدالرحمن السديس ٢٦، ٢٧، الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه، د. جميل بن عبيد القرارعة ٢٠.

(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/٢٩١.

«نعمة الإيمان والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها»[١].

ب - ولم يكن رسول الله ﷺ يدع دعواتٍ حين يمسي وحين يصبح، ومنها: (وآمن روعاتي)[٢].

ومعنى "رَوعاتي": جمع رَوْعة، وهي المرّة الواحدة من الرَّوْع[٣]، ومعناه: الفَزَع، والمراد: ادفع عني الخوف الذي يقلقني ويزعجني[٤]، ويعيقني عن أداء أعمالي. والذكر والدعاء يذهبان عن القلب مخاوفه كلها، ولهما تأثير عجيب في حصول الأمن، «فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله تعالى»[٥].

ج - ومن الوسائل المعينة على الأمن تربية المجتمع وأفراده على التخلق بالأخلاق الحسنة واجتناب الأخلاق السيئة، فإن الأخلاق الحسنة - كالعفو والإحسان والتعاون والعدل والأمانة والصدق والصبر - مما يعين على تماسك المجتمع وتراحمه وتحابه، وهو من الوسائل المؤدية إلى نشر الأمن والطمأنينة والسكينة بين أفراد ذلك المجتمع، وصون دمائهم وحفظ حرماتهم، وأما الأخلاق الذميمة - كالحسد والنفاق والنميمة والظلم - فإنها تؤدي إلى تمزيق المجتمع وتفتيته[٦]، وقد تضرع النبي ﷺ إلى الله بأن يوفقه للأخلاق الحسنة ويصرف عنه الأخلاق السيئة، وفي ذلك تعليم لأمته؛ لأن التخلق

---

(١) فيض القدير، للمناوي ١٣٥/٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٧٣٨/٢ رقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني.

(٣) ينظر مادة "روع": لسان العرب، لابن منظور ١٣٥/٨.

(٤) ينظر: حاشية السندي على ابن ماجه ٢٥٢/٧.

(٥) الوابل الصيب، لابن القيم ١٠٥، و من الأدعية التي تجلب للداعي الأمن والطمأنينة: قوله ﷺ: (اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء)، أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٩٧/ رقم ١٩٠٠ وصححه. وقول مشمت العاطس: (يهديكم الله ويصلح بالكم) أخرجه البخاري في صحيحه، الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت ٢٢٩٨/٥ رقم ٥٨٧٠.

(٦) ينظر: أخلاق المسلم، د. وهبة الزحيلي ٤٩٨، الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه، د. جميل القرارعة ٣١ - ٣٢.

بالأخلاق الحسنة والكف عن الأخلاق السيئة يحتاج إلى مثابرة وصبر واستعانة بالله تعالى، ومما يتصل بذلك من الأدعية :

- ما ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة كبر ،ثم قال دعاء طويلاً، ومنه : (اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)[١] .

والمراد : أرشدني لأكمل الأخلاق وأصوبها وأفضلها ، ووفقني للتخلق بها ، واصرف عني قبيحها ، وأعني على الخلاص منها[٢].

- ومثله ما روى ابن مسعود ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : (اللهم حسَّنْتَ خَلْقي فحسن خُلُقي)[٣] .

- وكان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء)[٤].

و"منكرات" : جمع منكر: وهو ما لا يعرف حسنه من جهة الشرع، أو ما عرف قبحه من جهته[٥] ، مثل الحقد والبخل والحسد والجبن ونحوها.

د - وكل دعاء ورد فيه طلب الهداية ، فإنه يتضمن طلب الهداية إلى الأخلاق الحسنة[٦] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ٢٦٠/١ رقم ٧٦٠، قال الألباني : صحيح.

(٢) ينظر : عون المعبود، للعظيم آبادي ٣٢٩/٢ ، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٢٦٥/٩ .

(٣) صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان) كتاب الرقائق ، باب الأدعية ٢٣٩/٣ رقم ٩٥٩، قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح بشاهده.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، ٥٧٥/٥ رقم ٣٥٩١ ، وصححه الألباني.

(٥) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٦/١٠ .

(٦) وقد علق الطيبي على هذا الدعاء (اللهم إني أسألك الهدى والتقى ...) الحديث ، فقال : ((أطلق الهدى والتقى؛ ليتناول كل ما ينبغي أن يهتدى إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق، =

المطلب الثاني

الأدعية المأثورة وعلاقتها بمقصد حفظ النفس من جانب العدم

وتتجلى هذه العلاقة من خلال الأمور التالية :

١-الدعاء بحفظ النفس من سائر الشرور :

تضمن كثير من الأدعية المأثورة التوسل إلى الله بحفظ النفس من الشرور التي تلحق بالإنسان، «فكل من خلَقَه يفزع في حاجته إليه، ويعوّل عند الحوادث والكوارث عليه»[(١)]، من هذه الأدعية :

أ - ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) [(٢)] .

ومثله ما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول : (اللهم خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية، فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر ؟ فقال: من

= وكل ما يجب أن يتقى منه من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق)) . تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٢٤/٩.

(١) شأن الدعاء، للخطابي ١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم ٢٣٢٩/٥ رقم ٥٩٦١ .

خير من عمر، من رسول الله ﷺ)[١] .

فقد تضمن هذا الدعاء الطلب من الله تعالى أنه إذا أبقى على حياة الداعي أن يحفظ له نفسه من كل شر ومكروه ونحوهما من مهالك الدنيا[٢] ، وإنما شرع للمسلم أن يقول ذلك إذا أخذ مضجعه خشية أن يأوي إلى فراشه بعض الهوام الضارة فتؤذيه[٣] .

ب - وكان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٤] .

فهذا تعوذ عظيم، وحرز للإنسان، وحافظ له بإذن الله من أن يمسه في منامه مكروه ، أو يناله شر أو أذى ، أو يصيبه شيء من الهوام المؤذية أو الحشرات القاتلة ، لاسيما والإنسان عند نومه يكون غافلا عما حوله، وعن جميع ما يحدث له، فإذا اشتغل بهذا الدعاء حُفظ بإذن الله وكُفي ووُقي، ولم يزل عليه من الله حافظ إلى أن يصبح[٥] .

ج - وقريب من ذلك ما شرع للمسلم أن يقول عِنْدَ الخُرُوجِ مِنَ المَنْزِلِ : (بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ) وجاء في نهاية الحديث قوله : (يُقال له: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وهُدِيتَ، وتنحَّى عنه الشيطان،فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/ ٢٠٨٣ رقم ٢٧١٢.

(٢) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/ ٧١

(٣) ينظر : فتح الباري،لابن حجر ١١/ ١٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ٤/١٩١٦رقم ٤٧٢٩.

(٥) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/ ٥٢ .

هُدي وكفي ووقي ؟)[١] .

والمعنى صُرف عنك الشر، وكُفيت كل هم دنيوي وأخروي ، وحفظت من شر الأشياء الخفية عنك، ومن شر أعدائك من الشياطين وغيرهم[٢] .

د - كما ورد التصريح بطلب سلامة بعض الأعضاء، فإن حفظ النفس إنما يكون بحفظ سائر الأعضاء، وقد ورد أن النبي ﷺ قلّما يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه (... ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا)[٣] .

فالمسلم يطلب من الله أن يمتعه بسمعه وبصره وسائر قواه ، ليتمتع بها مدة حياته وتبقى سليمة إلى أن يموت؛ لأن حفظ النفس بحفظ سائر الأعضاء، والمعنى : اجعل تمتعنا بها باقيا لنا، أو محفوظا لنا ليوم الحاجة. والمراد بالقوة: قوة سائر الأعضاء والحواس أو جميعها، فيكون تعميما بعد تخصيص[٤] ، وقد علل العلماء لتخصيص "السمع والبصر" بالذكر بأن هذه الجوارح هي الطريق إلى القلب الذي بصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله، كما سبق.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ٧٤٦/٢ ، وصححه الألباني.

(٢) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٢٧١/٩ ، فقه الأدعية والأذكار، للبدر٩٩/٢، ١٠١

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، ٥/ ٥٢٨ رقم ٣٥٠٢ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وحسنه الألباني .

(٤) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ١٣٢/٢ تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٣٤/٩ .

٢- الدعاء بالحماية من المخاطر، والأمراض :

أذن الشارع الحكيم " في التوقي من كل مؤذ: آدميا كان أو غيره. والتحرز من المتوقعات، حتى يقدّم العدة لها "[١] ، وإن دعاء الله وذكره سلاح عظيم للوقاية من الأمراض، وهما من أعظم ما يستدفع به النقم، ويقويان القلب والبدن[٢] ، ويعتبران من ((الأدوية الطبيعية الإلهية [التي] تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه. وإن وقع لم يقع وقوعا مضرا وإن كان مؤذيا. والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها، بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه. فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض))[٣] ، ويظهر ذلك جلياً فيما أثر من الأدعية، ومنها:

أ - ورد أن النبي ﷺ كان إذا خاف شر قوم، قال : (اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم)[٤] ، أي : إنا نسألك أن تصد صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينه[٥] ، كما ورد أن من خاف قوماً، فليقل : (اللهم اكفنيهم بما شئت)[٦] أي : احفظني، واحمني منهم، بما شئت من أسباب الوقاية والحماية .

---

(١) الموافقات، للشاطبي ٢/١٥٠ .

(٢) ينظر : الوابل الصيب، لابن القيم ٦١ .

(٣) زاد المعاد، لابن القيم ٤/١٦٥ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوما ١/٤٨٠ رقم ١٥٣٧، وصححه الألباني.

(٥) ينظر : عون المعبود، للعظيم آبادي ٤/٢٧٧ ، فيض القدير، للمناوي ٥/١٢١ .

(٦) حصن المسلم مع شرحه، لمجدي أحمد ٢٢١، وأصل هذا الدعاء في صحيح مسلم، كتاب الزهد

ب - وقلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه ﷺ : (ولا تسلط علينا من لا يرحمنا)[١] أي : ممن نتوقع منهم أن يضرونا من الفجرة والظلمة[٢] ، ويتضمن الدعاء بأن يقيه الله شر من ذكر.

ج - كما شرعت أدعية وأذكار عند حلول بعض الكوارث الطبيعية. كما لو نزل المطر وخيف الضرر، وإذا سمع المسلم الرعد والصواعق. أو اشتد هبوب الريح، أو عصفت الريح ونحو ذلك[٣] ، ونص الفقهاء على استحباب الدعاء عندها[٤] .

وأما الدعاء للمريض بالشفاء، فقد كان النبي ﷺ يدعو للمريض ويرقيه[٥] ((فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض))[٦] . والرقية هي نوع من العلاج يعتمد على قراءة الأدعية والأذكار المأثورة. يقول ابن القيم : ((وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواءً، ولكل شيء ضداً، ونفس الراقي تفعل في نفس المُرقى، فيقع بين نفسيهما فعلٌ وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نفسُ الراقي وقوتُه بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله، ومدار فعل الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ينظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣٣٥/٩، فيض القدير، للمناوي ١٣٢/٢، فقه الأدعية والأذكار، للبدر ٣١٥/٢-٣١٧.

(٣) ينظر : الأذكار، للنووي ١٥٨ .

(٤) ينظر: حاشية ابن عابدين ٢٠١/٢، المجموع، للنووي ٩٠/٥، فتح الباري، لابن حجر ٦٠٤/٢، كشاف القناع، للبهوتي ٦٩١/٢.

(٥) أي : يعوذه.
ينظر : عون المعبود، للعظيم آبادي ٢٧٣/١٠ .

(٦) زاد المعاد، لابن القيم ١٦٥/٤ .

والروحاني والطبيعي))[١] . ومع ذلك فإن الرقية لا تنافي الرجوع إلى الطب، وخاصة في بعض الأمراض التي لا تحتمل الانتظار ولا التأخير، بل تحتاج لتدخّل طبي عاجل، ومن الأدعية والأذكار الواردة في الرقية :

أ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده، قال له : (لا بأس طَهورٌ إن شاء الله) [٢] .

وفيه تطمين للمريض، ودعاء بأن لا تلحقه شدة ولا أذى، وأن يكون هذا المرض مطهراً من الذنوب[٣]، فهو ((من كمال اللطف، وحسن العلاج والتدبير)) [٤] .

ب - وكان النبي ﷺ يرقي أصحابه ﷺ ، بقوله : (اللهم رب الناس، اذهب الباس، اشف أنت الشافي، شفاء لا يغادر سقما)[٥] .

وفي هذه الرقية توسل إلى الله بتوحيده وإحسانه وربوبيته أن يذهب البأس سواء كان تعباً أو مرضاً أو شدة أو نحو ذلك، فهو وحده مذهب البأس، وهو وحده الشافي لا شفاء إلا شفاؤه[٦]، و ((كل ما يقع من الدواء والتداوي إن لم يصادف تقدير الله تعالى وإلا فلا ينجع))[٧] ، ويسأله أن يكون شفاء هذا المرض شفاء تاماً لا يبقى معه أثر، ولا

---

(١) المرجع نفسه ٤/١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣٢٤ رقم ٣٤٢٠.

(٣) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ١٠/ ٦٠٨ .

(٤) زاد المعاد، لابن القيم ٤/١٠٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض ٥/٢١٤٧ رقم ٥٣٥١.

(٦) ينظر : زاد المعاد، لابن القيم ٤/١٧٢ .

(٧) فتح الباري، لابن حجر ١٠/٢٠٧ .

يبقى في المريض أي علة، ولا يخلفه مرض آخر قد يتولد منه[١].

ج - وورد في حديث آخر : (ما من عبد مسلم يعود مريضا لم يحضر أجله، فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك إلا عُوفِي)[٢].

فهذا دعاء للمريض بأن يبرئه الله ويذهب عنه ما يجد، ومعنى الحديث : إن الرجل إذا عاد مريضاً، وقرأ عنده هذا الدعاء سبع مرات، وكان هذا المريض في علم الله لم يحضر أجله، فإن هذا المريض سيعافى من مرضه بفضل الله ﷻ، أما إذا كان هذا المريض قد حضر أجله فإن فائدة الدعاء ستكون مقصورة على ثواب القراءة خاصة[٣].

د - عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ : أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ : (ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[٤]، أي : من شر ما أجد من وجع وألم، ومن شر ما أخاف وأحذر، ومن ذلك تفاقم المرض الذي هو فيه[٥].

هـ - ويشرع للمسلم أن يدعو لأخيه المسلم بالشفاء، ويدخل في ذلك الطبيب الذي

---

(١) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ٢٠٧/١٠ ، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٤١/٤ ، عمدة القاري، للعيني ٢١/ ٢٦٨ ، فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٢١٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطب، ٤١٠/٤ رقم ٢٠٨٣ قال الشيخ الألباني : صحيح.

(٣) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ٤٩٩/٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء ١٧٢٨/٤ رقم ٢٢٠٢.

(٥) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٢١٦.

يعالج المرضى، فإن من شأن هذا الدعاء أن ينعكس إيجابا على معنويات المرضى، فتطيب نفوسهم، وتنهض عزائمهم، وتشتد قواهم ومناعتهم لمقاومة الآلام والأسقام، وهو كذلك يشعر المريض بالسمت الإيماني والالتزام الديني لطبيبه، فيُعزز الثقة والمصداقية بينهما، ولا ينكر أثر ذلك في العلاج والشفاء[١]، والدعاء والذكر يكسبان الداعي « قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه»[٢].

٣- الاستعاذة بالله مما يضر بالنفس :

إن « الضرر والضرار مبثوث منعه في الشريعة كلها، في وقائع جزئيات، وقواعد كليات »[٣] وقد وردت أدعية وأذكار كثيرة يستعيذ فيها المسلم مما يضر نفسه من الأمراض والمصائب والمشاق ونحو ذلك؛ فملازمة الدعاء والأذكار دافع للبلاء والشقاء[٤]؛ إذ هما « السور العظيم والحجاب المنيع الدافع للشيطان والوباء والحشرات والهوام »[٥]، وعلى المسلم أن لا يستكثر زمان البلاء، ويضجر من كثرة الدعاء: لأنه مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا ييأس من روح الله وإن طال البلاء[٦].

أما الاستعاذة بالله من الأمراض وسائر أنواع البلاء فقد وردت في أدعية كثيرة، منها :

---

(١) ينظر : الطبابة أخلاقيات وسلوك، د . داية ١٦٨ .

(٢) الوابل الصيب، لابن القيم١٠٦.

(٣) الموافقات، للشاطبي ١٦/٣ .

(٤) ينظر : الأزهية ص٤٢ ، أحكام الدعاء الفقهية، للمهيزع ٦٩٢/٢.

(٥) فيض القدير ، للمناوي ٤٢٣/١ .

(٦) ينظر : صيد الخاطر، لابن الجوزي ٤٣٣.

أ - ما ورد (أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من جهد البلاء، ودَرَك الشقاء[١] ، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)[٢].

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال (تعوذوا بالله من جهد البلاء .. الحديث)[٣] .

فقد شرع للمسلم أن يستعيذ بالله من كل مصيبة سواء كانت شدة أو مشقة، ومن أن يلحقه شقاء أو هلاك، أو سبب يؤدي إلى الهلاك سواء في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، وأن يقدّر عليه ما يسوؤه مما يوقعه في المكروه سواء في النفس أو في الأهل أو في الولد أو في غيرهما[٤] ، «وهذه كلمة جامعة؛ لأن المكروه إما أن يلاحظ من جهة المبدأ وهو سوء القضاء، أو من وجهة المعاد وهو درك الشقاء؛ إذ شقاوة الآخرة هي الشقاء الحقيقي؛ أو من جهة المعاش؛ وذلك إما من جهة غيره وهو شماتة الأعداء؛ أو من جهة نفسه وهو جهد البلاء»[٥] .

ب - وكان من دعاء النبي ﷺ الذي علمه إياه جبريل عليه السلام : (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها،

---

(١) درك الشقاء : بفتح الدال والراء المهملتين، ويجوز سكون الراء ، وهو الإدراك واللحاق ، والشقاء : هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك. ينظر : فتح الباري ، لابن حجر ١٤٨/١١ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ١٤٨/١١ ، فيض القدير، للمناوي ٢٥٦/٣ ، فقه الأدعية والأذكار، للبدر٥١٩/٢.

(٥) عمدة القاري، للعيني ٣٠٤/٢٢ ، وينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣١/١٧ .

ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن)[١].

ففي هذا الحديث يستعيذ المسلم بكلمات الله التامات[٢] من شر جميع المخلوقات، ثم خصص بعد التعميم ، فاستعاذ به من شر ما يَنْزِل من السماء، أي: من العقوبات، كالصواعق والأمطار ونحوهما ، ومن شر ما يعرج فيها، أي: من الأعمال السيئة التي توجب العقاب، ومن شر ما ذَرَأَ في الأرض، أي: من شر ما خلق على ظهرها، كالوحوش والجن ونحوهما، ومن شر ما يخرج منها، أي: من شر ما خلق في بطنها، كالحشرات والهوام، ومن شر فتن الليل والنهار، أي: من شر ما يقع فيهما. ومن شر كل طارق، أي: من شر ما يأتي من الحوادث ليلاً[٣] .

ج - وكان النبي ﷺ يرقي المريض بالأدعية، ويرشد المرضى أن يرقوا أنفسهم بالأدعية والأذكار المأثورة، فإن أحد الصحابة شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ : (ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤١٩/٣ رقم ١٥٤٩٩ بإسناد صحيح. والطبراني في المعجم الأوسط ٣١٥/٥ رقم ٥٤١٥، وفي مجمع الزوائد ١٧٥/١٠ ((رواه الطبراني في الأوسط وفيه زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير المدائني ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات)) ، وصحح إسناده الأرناؤوط في تخريجه للطحاوية . ص ١٣٣.

(٢) كلمات الله التامات: قيل معناها : النافعة الشافية.

وقيل : المراد بها هنا : القرآن.

وقيل : المراد أسماء الله تعالى وصفاته.

ومعنى التامات: أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه.

وقيل: هي الكاملات، والمعنى: أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس.

ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣١/١٧ ، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ١٨٤/٦ ، ٢٧٩/٩ .

(٣) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر ١٥/٢.

باسم الله، ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[١]. فالدعاء يخفف من الألم أو يزيله كله إذا عمل المريض بما علّمه رسول الله ﷺ بأن يضع يده على مكان الألم، ويقول هذا الدعاء[٢]. و« هذا العلاج من الطب الإلهي؛ لما فيه من ذكر الله، والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته. وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي؛ لاستقصاء إخراج المادة »[٣].

د - ومثله ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)[٤].

هـ - وإذا وقع المسلم في مرض أو بلية أو شدة يعسر الخروج منها، وأراد التخلص من ذلك، فليتوجه إلى الله، وليتضرع إليه بالدعاء والذكر. ومن ذلك: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منه)[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ينظر : شرح سنن ابن ماجه ٢٥٢/١ ، فيض القدير ، للمناوي ٢٨٤/١ .

(٣) فيض القدير، للمناوي ٢٥٦/٤ ، وينظر : زاد المعاد، لابن القيم ١٧٢/٤، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٢١٢/٦، عون المعبود، للعظيم آبادي ٢٧٤/١٠ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم ٧٣٢/٢ رقم ٥٠٥١، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة ٦٣١/٢ رقم ٩١٨ .

وفي رواية : (إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فآجرني فيها، وأبدل لي بها خيرا منها)[١] .

فإذا أصيب المسلم في نفسه بمرض أو نقص طعام أو نحو ذلك من أنواع البلاء، فليقل هذا الدعاء، فإن الله سيخلف له خيراً مما أصيب به[٢] .

والمراد بـ "ما أمره الله" ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦] وإن ((كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها، كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها))[٣] .

ووردت أدعية وأذكار يستعيذ فيها المسلم بالله من أمراض معينة، أو تقال لمن أصيب بمرض معين، من ذلك : ما روى أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام)[٤] .

واستعاذته ﷺ من هذه الأمراض تعليم للأمة وإظهار للعبودية، وقد نص على "البرص والجنون والجذام" مع دخولها في الأسقام؛ لكونها أبغض شيء إلى العرب، وكانوا ينفرون منها[٥] .

وهناك أدعية وأذكار مشروعة تقرأ على المعتوه والملدوغ[٦] ، وعلى من به الخراج

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في الاسترجاع ٢/ ٢٠٨ رقم ٣١١٩، وصححه الألباني.

(٢) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/١٩٩ . ٢٠١ .

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي ٢/٦٣١ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب سجود القرآن، باب في الاستعاذة ١/٤٨٤ رقم ١٥٥٤، وصححه الألباني.

(٥) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ٢/١٥٠ .

(٦) ينظر : سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، لابن الإمام ٤١٩، الأذكار، للنووي ١١٩ .

والبثرة[١] ونحوهما[٢]، وما يقوله من به صداع أو حمى أو غيرهما من الأوجاع[٣].

وفي فتح الباري : «وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وسيء الأسقام ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير، ولم يقل بذلك إلا شذوذ، والأحاديث الصحيحة ترد عليهم، وفي الالتجاء إلى الدعاء مزيد فائدة ليست في التداوي بغيره؛ لما فيه من الخضوع والتذلل للرب سبحانه»[٤].

٤-الاستعاذة بالله من العجز والكِبَر والهرم، وأسباب القلق والأرق من الحزن والهم والغم.

الإنسان قد يعجز أو يتثاقل عن فعل بعض مصالحه، وكما يمرض الجسم فإن الروح قد تمرض، ومرضها الهموم والأحزان والوساوس ونحو ذلك من أسباب القلق والأرق، واطمئنان النفس واستقرارها مقصد مهم من مقاصد الشريعة، لا يقل أهمية عن حفظها عما يتلفها، ولهذا شرع للمسلم أن يتضرع إلى الله بأدعية وأذكار مأثورة؛ لأنها تجلب له الطمأنينة والأمن، وتذهب عنه القلق والخوف، وتخفف عنه الكمد والاحتصار وكثيراً من أعراض الأمراض النفسية، فهي مما «يزيل الهمّ والغمّ عن

---

(١) البثرة : بفتح الباء الموحدة، وسكون الثاء المثلثة ويجوز فتحها، وهو خراج صغير، وخص بعضهم به الوجه.

ينظر مادة "بثر" في : لسان العرب، لابن منظور ٤/ ٣٩ ، عمدة القاري، للعيني ٥٢/٣ .

(٢) ينظر : الأذكار، للنووي ١٢١ .

(٣) ينظر : المرجع نفسه ١٢٦ .

(٤) فتح الباري، لابن حجر ١٠/ ١٣٣ .

القلب... ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط»[١] ، وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء)[٢] . وإذا أمِن الإنسان من الخوف وزالت عنه أسباب الاضطراب والقلق، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع «فالحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق»[٣] ، ومما شرع من الأدعية والأذكار :

أ - ما ورد أن رسول الله ﷺ كان يكثر من هذا الدعاء : (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال)[٤] .

فقد تعوذ ﷺ بالله من الهم الذي يشغل العقل لما يحصل من مكروهه في الحال[٥] ، ومن العجز والكسل، وكذلك الجبن والبخل؛ لأنهما يقعدان بالإنسان عما ينبغي عمله، وينشغل بهما الفكر عن القيام بمعالي الأمور، فيؤديان بصاحبهما إلى اضطراب فهمه وعقله، والمراد بـ "ضلع الدين" ثقل الدين وشدته، وذلك إذا لم يجد وفاء لهذا الدين، ويعظم الأمر مع مطالبة الدائن، والمراد بـ "غلبة الرجال" تسلطهم واستيلاؤهم هرجا ومرجا، وهذا مما يصيب الوهن في النفس وفي المعاش[٦] .

وفي فيض القدير : « كل اثنين منها قرينان: فالهم والحزن قرينان؛ إذ المكروه

---

(١) الوابل الصيب، لابن القيم ٦١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ٥/٤٦٢ رقم ٣٣٨٢ ، وقال : (هذا حديث غريب) ، وحسنه الألباني.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود ١/٣ .

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ينظر : فتح الباري، لابن حجر ١١/١٧٨.

(٦) ينظر : المرجع نفسه ١١/ ١٧٤ ، ١٧٨.

الوارد على القلب؛ إن كان من مستقبل يتوقعه أحدث الهمّ. أو من ماض أحدث الحزن. والعجز والكسل قرينان: فإنّ تخلف العبد عن أسباب الخير؛ إن كان لعدم قدرته فالعجز، أو لعدم إرادته فالكسل)) [١] ، والجبن والبخل يورثان الهمّ كما سبق.

ب- ومن دعائه ﷺ دبر كل صلاة : (وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر)[٢] . وفي هذا استعاذة بالله واستجارة به من بلوغ الإنسان حدًا في كِبَر السنّ يعود معه كالطفل في ضعف عقله وقلة فهمه ووهَن قواه، بحيث يضعف عن أداء الفرائض وعن خدمة نفسه فيما يتنظف فيه، فيكون كلا على أهله، ثقيلا بينهم، يتمنون موته. فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم[٣] .

ج- وكان رسول الله ﷺ يتعوذ ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل)[٤] .

فقد تعوذ النبي ﷺ من الهرم، حيث يبلغ الإنسان إلى سن تضعف فيها حواسه وقواه، ويضطرب فهمه وعقله، وهو أرذل العمر[٥] .

د - وورد أن النبي ﷺ كان يستعيذ بالله من (سوء الكِبَر)[٦] ، وهو ما يورثه

---

(١) فيض القدير، للمناوي ١٥١/٢ ، وينظر: زاد المعاد، لابن القيم ٣٢٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، ١٠٣٨/٣ رقم ٢٦٦٧ .

(٣) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ١١/١٠ ، عمدة القاري، للعيني ٤/٢٣ ، فقه الأدعية والأذكار، للبدر٥٠٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات باب التعوذ من أرذل العمر٢٣٤٣/٥ رقم ٦٠١٠.

(٥) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٥٠٨/٢ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٨/٤ رقم ٢٧٢٣.

كِبر السن من ذهاب العقل، واختلاط الرأي، وغير ذلك مما يسوء به الحال[١] .

هـ - وقد علّم ابن عمر رضي الله عنهما بعض الصحابة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر دعا بدعاء، ومنه : (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر)[٢] .

وفي هذا الحديث يعلم النبي ﷺ أمته أن يستعيذوا بالله من كل ما يوهن الجسم ويضعفه كشدة السفر وخشونته، كما يستعيذون من تغير النفس بالانكسار من شدة الهمّ والحزن، ومن أن يعود الرجل من سفره إلى أمر يحزنه ويكتئب منه، كما لو أصيب في سفره، أو عاد غير مقضيّ الحاجة، أو أصابت ماله آفةٌ، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم[٣] .

و - وأرشد النبي ﷺ من أصابه همّ أو حزن أن يتضرع إلى الله بدعاء، وفيه : (أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همّي) ، وبشرنا النبي ﷺ بأن المسلم لا يقول هذا الدعاء (إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحا)[٤] .

---

(١) ينظر : فقه الأدعية والأذكار، للبدر٢/٢٣، وقال النووي: ((قال القاضي: رويناه الكبر بإسكان الباء وفتحها؛ فالإسكان بمعنى التعاظم على الناس، والفتح بمعنى الهرم والخرف والرد إلى أرذل العمر)) . شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/٤٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٢/٩٧٨ رقم ١٣٤٢.

(٣) ينظر : التمهيد، لابن عبدالبر ٢٤/٣٥٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٩/١١١، شرح السيوطي على مسلم ٣/٣٩٠، تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/٢٨١ ، عون المعبود، للعظيم آبادي ٧/١٨٥ .

(٤) ونص الحديث : قال رسول الله ﷺ : (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل =

فالقرآن الكريم له أثر عظيم في تخليص الإنسان من الحزن والهم والغم، وشعوره بالأمن النفسي؛ فإن « المكروه الوارد على القلب إن كان من أمرٍ ماضٍ أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم، وان كان من أمر حاضر أحدث الغم »[١] . ولهذا ينبغي للمسلم أن يداوم على قراءة القرآن، وسيجد في كلماته المشرقة ما يرشّد سلوكه، وينير دربه، ويشرح صدره، ويبهج وجدانه، ويزيل عنه القلق والخوف والشقاء[٢] ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومعنى قوله: "أن تجعل القرآن ربيع قلبي " أي: فرَح قلبي وسروره، وإنما جعله ربيعاً له؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه، ويخرج من الهم والغم، ويحصل له النشاط والابتهاج والسرور، والربيع: المطر الذي يحيي الأرض، وقد شبه القرآن به؛ لأن به حياة القلوب، وبحياة القلب تسري الحياة إلى الجوارح كلها[٣] ، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع[٤] ، أي : لا

= اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً، قال: قالوا : يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن) .سبق تخريجه.

(١) الفوائد، لابن القيم ٢٦/١ .

(٢) ينظر : الأمن النفسي عند المؤمنين، د. عبدالغني الغامدي ٦ ـ ٨.

(٣) ينظر : الفوائد، لابن القيم ٢٦/١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٨/٤ رقم ٢٧٢٢.

يسكن ولا يطمئن بذكر الله[١] ، وقد تقدم ذكر الحكمة في اهتمام الشريعة بالقلب[٢] .

وقوله: "ونور صدري" أي: انشراح صدري: لأن الصدر إذا كان منشرحاً يكون منوراً.

وورد في آخر الحديث : (قالوا : يا رسول الله ألا نتعلم هذه الكلمات ؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن) [٣] .

ز - وكان رسول الله ﷺ إذا نزل به همّ أو غمّ قال : (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)[٤] .

وقد ذكر بعض العلماء أن لتأثير هذا الدعاء في دفع الهمّ والغم مناسبة بديعة؛ فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا قيل : إن اسمه الأعظم هو "الحي القيوم"، والحياة التامة تضاد جميع الآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة كمال البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة. فالتوصل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة وتغير الأفعال، وبهذا

---

(١) ينظر : تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٣١٨/٩ .

(٢) أخرجه : الترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٤٤٨/٤ رقم ٢١٤٠، وصححه الألباني .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٨٩/١ رقم ١٨٧٥، وصححه ، وفي رواية : كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال ...) الحديث . وهذه الرواية أخرجها: الترمذي في سننه، كتاب الدعوات ٥٣٩/٥ رقم ٣٥٢٤ .

يتضح أن لاسم الحي القيوم تأثيرا خاصا في كشف الكرب وإجابة الرب[١] .

ح - ومما يؤدي إلى سكون القلب وطمأنينة النفس ،التوكلُ على الله، وتفويضُ الأمر إليه سبحانه، والرضى بما يقضيه ويختاره[٢] ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وهذا ما كان يوصي به النبي ﷺ، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك الا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به)[٣] ، ولعل الحكمة في أن يقال هذا الدعاء عندما يأوي الإنسان إلى مضجعه: ليزيل ما ترسب من المتاعب والهموم خلال اليوم كله .

ط - ومثل ذلك ما جاء في هذا الدعاء : ﴿ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، فقد ورد في الحديث: (من قالها إذا أصبح وإذا أمسى سبع مرات كفاه الله ما أهمه)[٤] .

---

(١) ينظر : فيض القدير، للمناوي ١٥٩/٥ .

(٢) والتوكل على الله لا ينافي بذل الأسباب التي يجب أخذها تجاه أي عمل يحصل للمسلم، فإن ((من تمام التوكل استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا)).
زاد المعـــاد، لابن القيم ٤٢٠/٣ ، وينظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٤٤٣/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ٩٧/١ رقم ٢٤٤.

(٤) أخرجه ابن السني برقم (٧١) مرفوعاً في عمل اليوم والليلة، وصحح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، انظر: زاد المعاد٣٧٦/٢، وأخرجه أبو داود في سننه موقوفاً ٧٤٢/٢ رقم ٥٠٨١، وضعفه الألباني .

وهذا يشمل الأمور الدينية والأمور الدنيوية – كما أشرنا – فمن أخذ بهذه الأصول الثلاثة فقد انتظم له خير الدنيا والآخرة، وقد نص الله جل وعلا على مضمونها. فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فنصَّ على التوكل الذي هو أساس التوفيق لتحصيل المقاصد وهذا هو الأصل الأول، ومثله قوله تعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] أي: إن الله كافِينا ونِعْم الحفيظ، فلم يلتفتوا إلى قول أحد بل ثبت يقينهم بالله تعالى وازدادوا طمأنينة به[١]، فمن خاف قوماً أو أهمّه أمر من الأمور كمرض أو قلة مال أو نحو ذلك، فليلجأ إلى الله تعالى، وليسلّم أمره إليه، وليتوكل عليه، فإنه كافيه.

إن التوكل على الله يلقي في النفس المؤمنة الثقة بالله والطمأنينة، ويطرد عنها الهموم والقلاقل والوساوس، والإقبال على الله الذي بيده وحده تحقيق المآرب والآمال، وتلك هي السعادة التي تحف النفس المؤمنة[٢].

ي – ووصف النبي ﷺ الاستغفار والدعاء دواء للحزن والهم والضيق، فقال: من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ...) الحديث[٣].

فمن حصل له هم أو ضيق أو قلق أو وقع في محنة أو شدة فيشرع له أن يفزع إلى الاستغفار، فإن الله تعالى سيخفف عنه مصابه، ويفرج عنه كربته، ويخلصه مما وقع فيه[٤].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤/٢٧٢، روح المعاني ٤/١٢٦.

(٢) ينظر: أخلاق المسلم، د. وهبة الزحيلي ٥٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٢٩١ رقم ٧٦٧٧، وصححه، وقال الذهبي: ((الحكم بن مصعب فيه جهالة)).

(٤) ينظر: عون المعبود، للعظيم آبادي ٤/٢٦٧.

والحديث مقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] ؛ لأن من داوم على الاستغفار وقام بحقه كان متقيا . وذكر بعض العلماء أن الله أشار بالإكثار إلى أن الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب . والعذاب عذابان: أدنى وأكبر ، فالأدنى: عذاب الذنوب والعيوب . فإذا كان العبد مستيقظا على نفسه ، فكلما أذنب أو أعتب أتبعهما استغفاراً ، فلم يبق في وبالها وعذابها . وإذا غفل عن الاستغفار تراكمت ذنوبه ، فجاءت الهموم والضيق والعسر والعناء والتعب ، فهذا عذابه الأدنى . وفي الآخرة عذاب النار ، وإذا استغفر تخلص من الهم . فصار له من الهموم فرج . ومن الضيق مخرج ، ورزقه من حيث لا يحتسب[١] .

ك – ويشرع للمكروب[٢] أن يدعو ربه بهذا الدعاء : (اللهم رحمتك أرجو . فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت)[٣] .

والمراد : اللهم لا أرجو إلا رحمتك ، فلا تتركني إلى نفسي . ولو لحظة واحدة ، فإنها عدو لي ، وعاجزة عن قضاء حوائجي ، فأنت الذي أتوجه إليه في إصلاح أمري وحالي وما أحتاج إليه في حياتي وبعد مماتي ، ، ثم ختم هذا الدعاء بكلمة التوحيد الدالة على حضور القلب ، والشهادة بالوحدانية لله؛ للإشارة إلى أن الدعاء إنما ينفع المكروب ويزيل كربه إذا كان مع حضور القلب ، ومن شهد لله بالتوحيد والجلال مع جمع الهمة وحضور البال ، فهو حري بزوال الكرب في الدنيا ، والرحمة ورفع الدرجات

---

(١) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ٨٢/٦ .

(٢) المكروب : من الكَرْب ، وهو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه ويغمه ويحزنه .
تحفة الأحوذي ، للمباركفوري ٢٧٨/٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ٧٤٥/٢ رقم ٥٠٩٠ ، وحسنه الألباني.

في العقبى[١]، « فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع »[٢].

وذكر العلماء أن دعوة ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه كربه[٣]، وهي ما ورد في قوله تعالى : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ل - وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئا)[٤].

م- ولا ريب أن المواظبة على الأدعية والأذكار المأثورة وتكرارها في اليوم والليلة يبث في النفس الراحة والطمأنينة، ويحفظها من تلاعب الشيطان. ويجعل العبد في كنف الرحمن ، فقد شرع تكرار الأدعية والأذكار مرة بعد مرة: ليشبع القلب من هذا الغذاء، وليأخذ نصيبه وافراً من هذا الدواء[٥].

---

(١) ينظر : فيض القدير ، للمناوي ٥٢٦/٣ .

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم ١٣٥/٢ .

(٣) ينظر : مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٢١/٣ ، إغاثة اللهفان، لابن القيم ١٣٤/٢ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ينظر : شفاء العليل، لابن القيم ٢٢٩.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فبعد تطوافي بين مباحث هذا البحث ومسائله، أختم بأهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

- المراد بالأدعية المأثورة: الأدعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي يحتج بها؛ إذ هما مصدرا التشريع، والبحث يتحدث عن علاقة هذه الأدعية بحفظ مقاصد الشريعة.
- عظم أهمية الأدعية المأثورة، فهي عبادة عظيمة حثت عليها نصوص الشريعة، ولهذا كان النبي ﷺ يعلمها أهله وأصحابه ﷺ، وعلّمها أصحابه لمن بعدهم، واعتنى بها العلماء قديماً وحديثاً، وألفوا فيها مؤلفات كثيرة.
- مقاصد الشريعة: هي ما راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من مصالح العباد، وما يفضي إليها مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً.

هذه المقاصد تنقسم باعتبار المصالح التي جاءت بالمحافظة عليها إلى الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وهي تحافظ عليها من جانب الوجود، وذلك بحفظ ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، ومن جانب العدم، وذلك بحفظها مما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع عليها.

- وبالأدعية المأثورة ييسر الله للعباد مصالحهم في العاجل والآجل، فهم مفتقرون لربهم، يطرحون بين يديه في كل حين، في السراء والضراء، يتضرعون إليه ليحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم وأعراضهم، وعلى

المكلف أن يكون قصده في ذلك موافقاً لقصد الشارع.

- وبتتبع الأدعية المأثورة تبين لي أن لها علاقة واضحة بحفظ مقاصد الشريعة، ذكرت أمثلة تبين هذه العلاقة، وأطلت النفَس في بيان علاقة هذه الأدعية بمقصد حفظ النفْس، والتمثيل لذلك، وفي هذا تأكيد لما يذكره العلماء من أن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وتركيز على نوع من هذه التكاليف، لم يتعرض له أولئك العلماء عند تأصيلهم لمقاصد الشريعة، ولم ترد له أمثلة في كتبهم، مع وضوح تلك الأمثلة وقوة علاقتها بحفظ مقاصد الشريعة، كما تبين في هذا البحث.
- فقد عُنيت الشريعة بحفظ مقصد النفس، وشرعت من الأحكام ما يجلب لها المصالح، ويدفع عنها المفاسد، وذلك بضمان سلامتها، والوقاية من كل ما قد يؤدي إلى الإضرار بها، وعدّت ذلك من آكد الضروريات التي تجب المحافظة عليها بعد حفظ الدين؛ لأن تعريض النفس للهلاك يؤدي إلى فقد المكلف الذي يعبد الله تعالى، وهذا يؤدي إلى الإخلال بمقصد حفظ الدين.
- حافظت الشريعة على النفس من جانب الوجود، من خلال شعيرة الدعاء المأثور، وذلك بسؤال الله تعالى العافية، وحمده عليها، والاستعاذة به من تحوّلها، وبطلب المكلف من رازقه تعالى تيسير مطعمه وملبسه ومسكنه، وتسخير وسائل التطهر والتنظف له، وأن يعم الأمن جميع جوانب حياته، كما حافظت عليها من جانب العدم، فشرعت الأدعية التي يتوسل بها العبد إلى ربه أن يحفظ نفسه من الشرور التي قد تلحق به، ومن المخاطر والأمراض، وسائر أنواع البلاء، ومن أسباب القلق والأرق، ففي المواظبة على الأدعية والأذكار

المأثورة في اليوم والليلة عموماً، ما يبث في النفس الراحة والطمأنينة، ويحفظها من تلاعب الشيطان، ويجعل العبد في كنف الرحمن.

وإن إيضاح العلاقة بين الأدعية المأثورة وحفظ مقاصد الشريعة، يؤكد أهمية الأدعية المأثورة في حياة المسلم، ويجعله أكثر إقبالاً عليها، وحادياً له إلى تحقيق العبودية لله تعالى في أحواله كلها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

(١) أبجد العلوم: لصديق بن حسن القنوجي، تحقيق : عبد الجبار زكار، نشر: دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٧٨م .

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج: لعلي بن عبد الكافي السبكي، طبع:دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٣) إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، نشر : دار المعرفة – بيروت.

(٤) أخلاق المسلم : أ. د . وهبة الزحيلي ، طبع : دار الفكر المعاصر ببيروت، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥) الأدب المفرد : لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، طبع : دار البشائر الإسلامية ببيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٦) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ : لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبع: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٧) الأزهية في أحكام الأدعية : لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق : أم عبدالله محروس العسلي، طبع : دار الفرقان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين : لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب

الزرعي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع: دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣م.

(٩) أعلام النبوة : لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق : سعيد بن محمد اللحام، نشر: دار ومكتبة الهلال ببيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(١٠) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد حامد الفقي، طبع : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(١١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد حامد الفقي، طبع: السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ.

(١٢) الأمن النفسي عند المؤمنين: للدكتور عبدالغني عثمان الغامدي، نشر : مكتبة المتنبي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ.

(١٣) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء: لقاسم بن عبد الله القونوي، تحقيق : د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي طبع : دار الوفاء بجدة، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ.

(١٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود، طبع : مطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .

(١٥) بدائع الفوائد: لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،

تحقيـــق : هشام عبد العزيز عطا ، ورفاقه ، نشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(١٦) البرهان في أصول الفقه : لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تحقيق : د. عبد العظيم محمود الديب ، طبع : دار الوفاء - المنصورة – مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ.

(١٧) تاج العروس : لمحمد مرتضى الزبيدي ، نشر : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ.

(١٨) التحـــرير والتنوير : لمحمد الطاهر بن عاشور ، طبع : دار سحنون للنشر بتونس .

(١٩) تحفة الأحوذي : لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢٠) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين : لمحمد بن علي الشوكاني ، طبع : دار الكتاب العربي ، بيروت.

(٢١) التعريفات : للجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، نشر : دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ .

(٢٢) التقرير والتحبير : لابن أمير الحاج ، نشر : دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢٣) التوقيف على مهمات التعاريف : لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، نشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

(٢٤) تيسير العزيز الحميد: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، نشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

(٢٥) جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، نشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، طبع: دار الكتاب العربي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

(٢٧) حاشية ابن عابدين، طبع: دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٢٨) حاشية السندي على النسائي : لنور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، نشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢٩) الدعاء : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) الدعاء : لعبدالله بن أحمد الخضري، تحقيق : محمد علي الحلبي الأثري، طبع : دار الفتح بالشارقة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

(٣١) الدعاء وأحكامه الفقهية : خلود بنت عبدالرحمن المهيزع : طبع : دار الصميعي بالرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

(٣٢) روح المعاني : لأبي الفضل محمود الألوسي ، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٣٣) الرياض النضرة والحدائق النيرة الزاهرة: لعبدالرحمن بن ناصر السعدي،

طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٩٨م .

(٣٤) زاد المسير في علم التفسير : لعبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، طبع: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ.

(٣٥) زاد المعاد : لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، طبع: مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الرابعة عشر، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٣٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام : لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣٧) سلاح المؤمن في الدعاء والذكر : لابن أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن هُمام المعروف بـ (ابن الإمام) ، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ، طبع : دار ابن كثير الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

(٣٨) سنن ابن ماجه : لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار الفكر – بيروت، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م . والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(٣٩) سنن أبي داود : لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع : دار الفكر ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(٤٠) سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأحاديث مذيلة

بأحكام الألباني عليها.

(٤١) شأن الدعاء : لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق، طبع : دار الثقافة العربية بدمشق، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

(٤٢) شرح الأربعين النووية: لابن دقيق العيد ، طبع : دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٤٣) شرح الكوكب المنير: لمحمد بن أحمد الفتوحي، تحقيق : محمد الزحيلي، ورفيقه، طبع: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤٤) شرح النووي على صحيح مسلم : لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، طبع : دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ.

(٤٥) شرح صحيح مسلم : للنووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، طبع : المطبعة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧هـ .

(٤٦) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري: للدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، مطبوع ضمن كتاب الأمن الفكري، نشر جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، سنة١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤٧) شعب الإيمان للبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.

(٤٨) الشكر : لابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد أبو بكر القرشي،

تحقيق : بدر البدر، طبع : المكتب الإسلامي – الكويت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٤٩) الصحاح: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ، عام ١٣٩٩هـ.

(٥٠) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، طبع : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

(٥١) صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، طبع: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

(٥٢) صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة: الخامسة.

(٥٣) صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، نشر : دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٥٤) صيد الخاطر، لعبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق : ناجي الطنطاوي، طبع : دار المنارة بجدة، الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٥٥) الطبابة أخلاقيات وسلوك: للدكتور عبدالجبار داية، نشر: مكتبة الإسراء بعَمان.

(٥٦) علم مقاصد الشارع : لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

(٥٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني، طبع : دار الكتب العلمية ببيروت.

(٥٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود : لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، طبع : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ .

(٥٩) الفتاوى الكبرى : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : حسنين محمد مخلوف، نشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ .

(٦٠) فتح الباري: لابن حجر العسقلاني ، طبع: دار الريان بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

(٦١) الفروق : لشهاب الدين الصنهاجي القرافي، طبع : دار المعرفة ببيروت.

(٦٢) فقه الأدعية والأذكار: لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، طبع : كنوز إشبيليا بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٦٣) الفوائد : لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، نشر : دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

(٦٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف المناوي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى عام ١٣٥٦هـ .

(٦٥) القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، طبع: مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

(٦٦) قصة الحضارة: للدكتور ول ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، طبع : دار المعرفة ببيروت.

(٦٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: لأبي محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام، طبع : دار المعرفة ببيروت.

(٦٨) كشاف القناع: للبهوتي، منصور بن يونس، نشر: دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٦٩) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبدالله "حاجي خليفة" طبع: مكتبة المثنى ببغداد.

(٧٠) كنز الدعاء وأسراره : لمحمود الغرباوي، طبع: دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

(٧١) لسان العرب : لابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. تحقيق : يوسف خياط، طبع : دار لسان العرب ببيروت .

(٧٢) مجمع الزوائد: للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر ، نشر : دار الفكر ببيروت، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٧٣) مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، طبع : مطابع الرياض، الطبعة الأولى عام ١٣٨١ ـ ١٣٨٦هـ .

(٧٤) المحصول في علم الأصول : محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق : طه جابر فياض العلواني، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

(٧٥) مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، نشر : مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة

الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٧٦) مدارج السالكين : لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق : محمد حامد الفقي، طبع : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٧٧) المدخل إلى علم الدعوة، د . محمد أبو الفتح البيانوني، طبع : مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٧٨) المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٧٩) المستصفى في علم الأصول : لمحمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي، طبع : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ.

(٨٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر : مؤسسة قرطبة بالقاهرة .

(٨١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : لأحمد بن محمد المقري الفيومي، نشر : المكتبة العلمية – بيروت.

(٨٢) مقاصد الشريعة الإسلامية : لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق : محمد الطاهر الميساوي، طبع : دار النفائس بعمان، الطبعة الثانية عام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

(٨٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية : لمحمد سعد بن أحمد اليوبي، طبع : دار الهجرة بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

(٨٤) مقاصد الشريعة عند ابن تيمية : ليوسف بن أحمد البدوي، طبع : دار النفائس بعمان ، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

(٨٥) المقاييس في اللغة : لابن فارس، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، طبع : دار الجيل ببيروت .

(٨٦) الموافقات في أصول الفقه : لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، تحقيق: عبد الله دراز، طبع: دار المعرفة ببيروت.

(٨٧) النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، نشر : المكتبة العلمية - بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٨٨) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض، طبع: دار الريان بالقاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

* * * *